يُهدى ولا يُباع

أبواب التوبة

لا إله إلا الله

الفوائد

للكلّ شيء عقوبة، وعقوبة العارف انقطاعه عن ذكر الله

باب التوبة مفتوح و لا يغلق حتى تطلع الشمس من مغربها

جمعه: خادم السنة النبوية الشريفة

أبو أحمد محمد بن علي بن محمد مغيث

أبواب التوبة — لا إله إلا الله — الفوائد — باب التوبة مفتوح و لا يغلق حتى تطلع الشمس من مغربها - سوسة-شعبان 1439

لا إله إلا الله

بسم الله الرحمن الرحيم

وأنعم بنا بالله وبالله وبالله

الفوائد

ر.د.م.ك : 978-9938-14-461-1

يُهدى ولا يُباع

أبواب التوبة لأيها الأحباب

لكل شيء عقوبة، وعقوبة العارف انقطاعه عن ذكر الله

جمعه
خادم السنّة النبويّة الشّريفة
أبو أحمد محمّد بن علي بن محمّد مغيث

يَا رَبِّ لَكَ الْحَمْدُ

كَمَا يَنْبَغِي

لِجَلَالِ وَجْهِكَ

وَلِعَظِيمِ سُلْطَانِكَ

عن النبي صلى الله عليه وسلم

﴿بسم الله الرحمن الرحيم مفتاح كلّ كتاب﴾

{الخطيب عن أبي جعفر}

حرز الشيطان

﴿بسم الله الرحمن الرحيم ذي الشأنْ، عظيم البُرهانْ، شديد السُّلطانْ ما شاء الله كانْ، أعوذ بالله من الشّيطانْ﴾

{عن الزبير بن العوام}

﴿اتَّبِعُوا ولا تُبدِعُوا فقد كُفيتُم﴾

{عن ابن مسعود}

﴿من أراد الله به خيرًا أبْقَى في قلبه لا إله إلاّ الله﴾

{ذكره الثعلبي}

عن النّبي ﷺ:

﴿كلامُ أهل السّمواتِ

لا حول

ولا قوة

إلاّ بالله﴾

{الخطيب عن أنس}

الصلاة

على سيّد

الكونين ﷺ

﴿عَلَيكَ يَا رسولَ اللهِ مِن صَلَوَاتِ اللهِ وتسليماتِهِ وتحياتِه وبَرَكاتِهِ فِي كُلِّ لحظة ما يُماثِلُ فَضلَكَ العَظِيمَ. وَيُعَادِلُ قَدَرَكَ الفَخِيمَ، ويجمَعُ لَكَ فَضَائِلَ جَميعِ أنواعِ الصَّلاةِ والتَّسلِيمِ﴾

ابن القيم الجوزية

عن النّبي ﷺ :

﴿جدِّدُوا إيمَانَكُم

أكثِرُوا من قولِ

لا إله إلاّ الله﴾

{أحمد عن أبي هريرة}

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله على أفضاله والصلاة والسلام

على سيدنا

وصحبه وآله.

هذا كتابي المُسمّى

الفوائد

من حديث البشير النذير صلى الله عليه وسلم

ومن كلام الله جلّ جلالهُ

{أخذ هذا الكتاب من كتب ابن القيم الجوزية}

عن النّبي ﷺ:

﴿الخوف من الجليل

والعمل بالتّنزيل

والاستعداد

إلى يوم الرّحيل﴾

{الترمذي والنسائي عن أبي هريرة}

﴿اذكروا الله

عند كلّ شَجَرٍ وحَجَرٍ﴾

{أحمد عن عطاء بن يسار}

❁ مقدّمة ❁

❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁

الحمد لله الذي أفاض على عباده النعمة. وكتب على نفسه الرّحمة، وأشهدُ أن لا إله إلاّ الله عليه توكلتُ وإليه أُنيب.

لا غنا على أحد من فضله ورحمته ولا طمع في الفوز بجنته إلاّ بعفوه ومغفرته.

وأشهدُ أنَّ سيدنا محمدًا عَبده ورسُوله أرسله رحمة للعالمين وقدوة للعاملين ومحجة للسالكين، وحجة على العباد أجمعين، بعثه للإيمان مناديًا وإلى دار السلام داعيًا، وللخليقة هاديا ولكتابه مبينا وتاليًا، وفي مرضاته ساعيًا وبالمعروف آمرًا وعن الـمنكر ناهيًا

فصلوات الله وتسليماته عليه وعلى آله أصحاب الصراط السوي، ومن اهتدى.

❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁

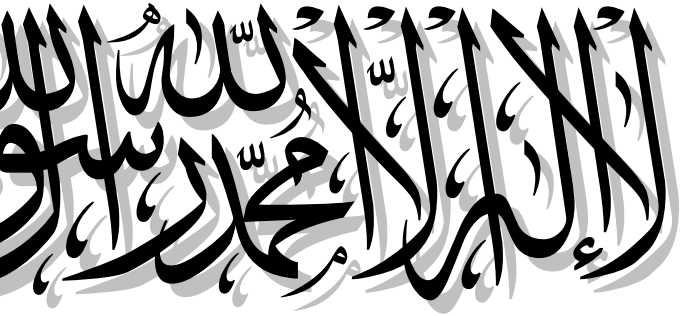

وَاللّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ {يوسف/21}

صَدَقَ اللهُ العَظِيمَ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الَّذي لهُ العِزَّةُ والجَبرُوتُ، وَبيَدِهِ الملكُ والملكوتُ، ولَهُ الأسماءُ الحُسنَى والنُّعُوتُ، العَالمِ فَلاَ يَغرُبُ عنهُ مَا تُظهِرُهُ النَّجْوَى أوْ يُخْفِيهِ السُّكُوتُ، القَادِرُ فَلاَ يُعجِزُهُ شيْءٌ في السَّمواتِ والأرضِ ولاَ يَفُوتُ، أنشَأنا مِن الأَرْضِ نَسَمًا واستعمَرَنَا فيهَا أجْيالاً وَأَمَمًا ويسَّرَ لَنَا منْهَا أرْزَاقًا وقِسَمًا، تَكْنُفُنَا الأرحَامُ والبيوتُ، ويَكْفُلُنَا الرِّزْقُ والقُوتُ، وتُبْلِينَا الأيَّامُ والْوُقُوتُ، وتَعْتَورُنَا الآجالُ الَّتي خُطَّ عليْنا كِتابها المَوقُوتُ ولَهُ البَقَاءُ والثُّبوتُ، وهوَ الحيُّ الَّذي لا يَمُوتُ، والصَّلاةُ والسَّلامُ على سيِّدنَا ومَولاَنَا مُحمَّدٍ النبي العَرَبيِّ المكتوبِ في التَّورَاةِ والإنْجِيلِ المَنعوتِ، الَّذي تمحّض لِفصالِهِ الكَونُ قَبلَ أنْ تَتَعَاقبَ الآحَادُ والسُّبوتُ، ويتَبَاينَ زُحَلُ وَاليَهَمُوتُ، وَعَلى آلهِ وأصحَابهِ الَّذينَ لَهُمْ في صُحبَته وأتباعهِ الأثَرُ البَعِيدُ والصِّيتُ، والشَّمْلُ الجميعُ في مظَاهرتهِ ولعدُوِّهمِ الشَّملُ

الشَّتيتُ، صلى الله عَليهِ وعَلَيْهِمْ مَا اتَّصَلَ بالإسلاَمِ جَدُّهُ المَبْخُوتُ. وانقطَعَ بالكُفْرِ حَبْلُهُ المَبتُوتُ، وَسَلمَ كَثِيرًا.

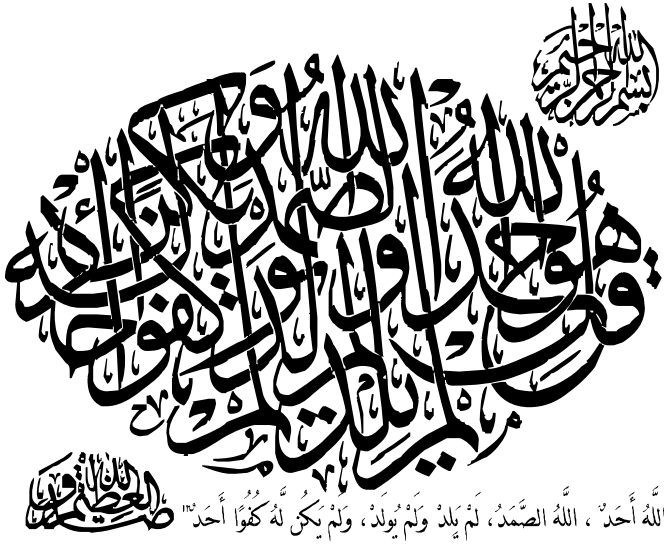

"قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ، اللَّهُ الصَّمَدُ، لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ، وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ"

﴿ ذكر الله وفوائده ﴾

وقوله ﷺ: ﴿وآمُرُكمُ أن تذكروا الله تعالى، فإن مثل ذلك مثل رجل خرج العدو في أثره سراعًا، حتى إذا أتى إلى حصن حصين فأحرز نفسه منهم، كذلك العبد لا يحرز نفسه من الشيطان إلاّ بذكر الله﴾ فلو لم يكن في الذكر إلاّ هذه الخصلة الواحدة لكان حقيقًا بالعبد أن لا يفتر لسانه من ذكر الله تعالى، وأن لا يزال لهجًا بذكره، فإنه لا يحرز نفسه من عدوه إلاّ بالذكر، ولا يدخل عليه العدو إلاّ من باب الغفلة، فهو يرصده فإذا غفل وثب عليه وافترسه.

وإذا ذكر الله تعالى انخنس عدو الله تعالى وتصاغر وانقمع حتى يكون كالوَصع وكالذباب، ولهذا سُمِّي ﴿الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ {الناس/4}﴾ أي يوسوس في الصدور، فإذا ذكر الله تعالى خنس، أي: كف وانقبض، قال ابن عباس: الشيطان جاثم على قلب ابن آدم، فإذا سها وغفل وسوس، فإذا ذكر الله

تعالى خنس. وفي مسند الإمام أحمد عن عبد العزيز بن أبي سلمة الماجشون عن زياد ابن أبي زياد مولى عبد الله بن عباس بن أبي ربيعة أنه بلغه عن معاذ بن جبل قال: قال رسول الله ﷺ:

﴿مَا عَمِلَ آدَمِيٌّ عَمَلًا قَطُّ أَنْجَى لَهُ مِنْ عَذَابِ اللّهِ مِنْ ذِكْرِ اللّهِ عزّ وجل﴾

وقال معاذ: قال رسول الله ﷺ: **﴿ألا أخبركم بخير أعمالكم وأزكاها عند ملككم وأرفعها في درجاتكم، وخير لكم من إنفاق الذهب والفضة ومن أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم؟﴾ قالوا: بلى يا رسول الله. قال: ﴿ذِكرُ الله عزّ وجلّ﴾** وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة قال: كان رسول الله ﷺ يسير في طريق مكة فمرّ على جبل يُقال له جُمْدَانُ فقال: **﴿سِيرُوا، هَذَا جُمْدَانُ، سَبَقَ**

﴿الْمُفَرِّدُونَ﴾. قيل: وما المفردون يا رسول الله؟ قال ﷺ: ﴿الذاكرون الله كثيرًا والذاكرات﴾ وفي السنن عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ﴿ما من قوم يقومون من مجلس لا يذكرون الله تعالى فيه إلاّ قاموا عن مثل جيفة حمار وكان عليهم حسرة﴾ وفي رواية الترمذي: ﴿مَا جَلَسَ قَوْمٌ مَجْلِسًا لَمْ يَذْكُرُوا اللَّهَ فِيهِ، وَلَمْ يُصَلُّوا عَلَى نَبِيِّهِمْ، إلاّ كَانَ عَلَيْهِمْ تِرَةً، فَإِنْ شَاءَ عَذَّبَهُمْ وَإِنْ شَاءَ غَفَرَ لَهُمْ﴾ (ومعنى قوله: (تِرَةً): يعني حسرة وندامة). وفي صحيح مسلم عن الأغرِّ أبي مسلم قال: أشهد على أبي هريرة وأبي سعيد أنهما شهدا على رسول الله ﷺ أنه قال: ﴿لا يقعد قوم يذكرون الله فيه إلاّ حفَّتهم الملائكة، وغشيتهم الرحمة، ونزلت عليهم السكينة، وذكرهم الله فيمن عنده﴾ وفي الترمذي عن عبد الله بن بشر أن رجلاً قال: يا رسول الله، إن أبواب الخير كثيرة ولا أستطيع القيام بكلها، فأخبرني بما

شئت أتشبث به، ولا تكثر عليَّ فأنسى؟ وفي رواية: إنّ شرائع الإسلام قد كثرت عليَّ، وأنا كبرت، فأخبرني بشيء أتشبثُ به؟ قال ﷺ: ﴿**لا يزال لسانك رطبًا بذكر الله تعالى**﴾ وفي الترمذي أيضًا عن أبي سعيد أن رسول الله ﷺ سُئل: أي العباد أفضل وأرفع درجة عند الله يوم القيامة؟ قال ﷺ: ﴿**الذاكرون الله كثيرًا**﴾ قيل: يا رسول الله ومن الغازي في سبيل الله؟ قال ﷺ: ﴿**لو ضرب بسيفه في الكفار والمشركين حتى ينكسر ويختضب دمًا كان الذاكر لله تعالى أفضل منه درجة**﴾. وفي صحيح البخاري عن أبي موسى عن النبي ﷺ قال: ﴿**مثل الذي يذكر ربه والذي لا يذكر ربه مثل الحي والميت**﴾ وفي الصحيحين عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: ﴿**يقول الله تبارك وتعالى: «أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه إذا ذكرني، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملإٍ ذكرته**

في ملإٍ خير منهم، وإن تقرب إليَّ شبرًا تقربت إليه ذراعًا، وإن تقرب إليَّ ذراعًا تقربت إليه باعًا، وإذا أتاني يمشي أتيته هرولة»﴾ وفي الترمذي عن أنس أن رسول اللهﷺ قال: ﴿**إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا**﴾ قالوا: يا رسول الله، وما رياض الجنة؟ قالﷺ: ﴿حِلَقُ الذِّكر﴾. وفي الترمذي أيضًا عن النبيﷺ عن الله عزّ وجلّ أنه يقول: ﴿**إن عبدي كلَّ عبدي الذي يذكرني وهو ملاق قرنه**﴾، وهذا الحديث هو فصل الخطاب في التفضيل بين الذاكر بلا جهاد والمجاهد الغافل، فإن الذاكر المجاهد أفضل من الذاكر بلا جهاد والمجاهد الغافل، والذاكر بلا جهاد أفضل من المجاهد الغافل عن الله تعالى. فأفضل الذاكرين المجاهدون، وأفضل المجاهدين الذاكرون. قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُواْ وَاذْكُرُواْ اللّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلَحُونَ {الأنفال/45}﴾ فأمرهم بالذكر الكثير والجهاد معًا ليكونوا على رجاء من

الفلاح، وقد قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا {الأحزاب/41}﴾. وقال تعالى: ﴿وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ {الأحزاب/35}﴾ أي كثيرًا. وقال تعالى: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُواْ اللّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا {البقرة/200}﴾، ففيه الأمر بالذكر بالكثرة والشدة لشدة حاجة العبد إليه، وعدم استغنائه عنه طرفة عين، فأي لحظة خلا فيها العبد عن ذكر الله عزّ وجلّ كانت عليه لا له، وكان خسرانه فيها أعظم ممّا ربح في غفلته عن الله. وقال بعض العارفين: لو أقبل عبد على الله تعالى كذا وكذا سنة ثم أعرض عنه لحظة لكان ما فاته أعظم ممّا حصله.

وذكر البيهقي عن عائشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال:

﴿ما من ساعة تمر بابن آدم لا يذكر الله فيها إلاّ تحسر عليها يوم القيامة﴾.

وذكر عن معاذ بن جبل يرفعه أيضًا: ﴿ليس تحسر أهل الجنة إلاّ على ساعة مرت بهم لم يذكروا الله عزّ وجلّ فيها﴾. وعن أم حبيبة زوج النبي ﷺ قالت: قال رسول الله ﷺ: ﴿كلام ابن آدم كله عليه لا له، إلاّ أمرًا بمعروف أو نهيًا عن منكر أو ذكرًا لله عزّ وجل﴾. وعن معاذ بن جبل قال: سألت رسول الله ﷺ: أي الأعمال أحب إلى الله عزّ وجلّ؟ قال: ﴿أن تموت ولسانك رطب من ذكر الله عزّ وجل﴾. وقال أبو الدرداء رضي الله تعالى عنه: لكل شيء جلاء، وإن جلاء القلوب ذكر الله عزّ وجلّ. وذكر البيهقي مرفوعًا من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه كان يقول: ﴿لكلّ شيء صِقالةٌ، وإنّ صِقالة القلوب ذكر الله عزّ وجلّ، وما من شيء أنْجى من عذاب الله عزّ وجلّ من ذكر الله عزّ وجلّ﴾ قالوا: ولا الجهاد في سبيل الله عزّ وجلّ؟ قال: ﴿ولو أن يضرب بسيفه حتى ينقطع﴾. ولا ريب أن القلب يصدأ كما يصدأ النحاس والفضة وغيرهما، وجلاؤه

بالذكر، فإنه يجلوه حتى يدعه كالمرآة البيضاء، فإذا تُرِك صدأ، فإذا ذكر جلاه. وصدأ القلب بأمرين: بالغفلة والذنب، وجلاؤه بشيئين: بالاستغفار والذكر. فمن كانت الغفلة أغلب أوقاته كان الصدأ متراكبًا على قلبه، وصدأه بحسب غفلته، وإذا صدئ القلب لم تنطبع فيه صور المعلومات على ما هي عليه فيرى الباطل في صورة الحق، والحقَّ في صورة الباطل، لأنه لما تراكم عليه الصدأ أظلم فلم تظهر فيه صورة الحقائق كما هي عليه، فإذا تراكم عليه الصدأ اسوَدَّ وركبه الران فسد تصوره وإدراكه، فلا يقبل حقًا ولا ينكر باطلاً، وهذا أعظم عقوبات القلب. وأصل ذلك من الغفلة واتباع الهوى فإنهما يطمسان نور القلب ويعميان بصره، قال تعالى: ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا {الكهف/28}﴾ فإذا أراد العبد أن يقتدي برجل فلينظر: هل هو من أهل الذكر أو من الغافلين؟ وهل الحاكم عليه الهوى أو الوحي؟ فإن كان الحاكم عليه هو الهوى وهو من أهل الغفلة، وأمرهُ

فرطٌ: لم يقتدِ به، ولم يتْبَعْه فإنه يقودُه إلى الهلاك. ومعنى الفرط قد فسر بالتضييع، أي: أمره الذي يجب أن يلزمه ويقوم به وبه رشده وفلاحه ضائعٌ قد فرط فيه. وفُسِّر بالإسراف أي: قد أفرط، وفُسِّر بالهلاك، وفُسِّرَ بالخلاف للحق. وكلها أقوال متقاربة. والمقصود: أن الله سبحانه وتعالى نهى عن طاعة من جمع هذه الصفات، فينبغي للرجل أن ينظر في شيخه وقدوته ومتبوعه فإن وجده كذلك فلْيَبْتَعِدْ منه، وإن وجده ممن غلب عليه ذكر الله تعالى واتباع السنة، وأمره غير مفروط عليه، بل هو حازم في أمره: فليتمسك بغرزه، ولا فرق بين الحي والميت إلاّ بالذكر، فمثل الذي يذكر ربه والذي لا يذكر ربه كمثل الحي والميت. وفي المسند مرفوعًا: ﴿أكثروا ذكر الله تعالى حتى يقال: مجنون﴾.

فوائد الذكر

وفي الذكر أكثر من مائة فائدة:

إحداهما: أنه يطرد الشيطان ويقمعه ويكسره.

الثانية: أنه يُرضي الرحمن عزّ وجلّ.

الثالثة: أنه يزيل الهم والغم عن القلب.

الرابعة: أنه يجلب للقلب الفرح والسرور والبسط.

الخامسة: أنه يقوي القلب والبدن.

السادسة: أنه ينوّر الوجه والقلب.

السابعة: أنه يجلب الرزق.

الثامنة: أنه يكسو الذاكر المهابة والحلاوة والنضرة.

التاسعة: أنه يورثه المحبة التي هي روح الإسلام وقطب رحى الدين ومدار السعادة والنجاة. وقد جعل الله لكلّ شيء

سببًا، وجعل سبب المحبة دوام الذكر، فمن أراد أن ينال محبة الله عزّ وجلّ فليلهج بذكره، فإنه الدرس والمذاكرة كما أنه باب العلم، فالذكر باب المحبة وشارعها الأعظم وصراطها الأقوم.

العاشرة: أنه يورثه المراقبة حتى يدخله في باب الإحسان، فيعبد الله كأنه يراه، ولا سبيل للغافل عن الذكر إلى مقام الإحسان، كما لا سبيل للقاعد إلى الوصول إلى البيت.

الحادية عشرة: أنه يورثه الإنابة، وهي الرجوع إلى الله عزّ وجلّ، فمتى أكثر الرجوع إليه بذكره أورثه ذلك رجوعه بقلبه إليه في كل أحواله، فيبقى الله عزّ وجلّ مفزَعه وملجأه، وملاذه ومعاذه، وقبلة قلبه ومهربه عند النوازل والبلايا.

الثانية عشرة: أنه يورثه القرب منه، فعلى قدر ذكره لله عزّ وجلّ يكون قربه منه، وعلى قدر غفلته يكون بعده منه.

الثالثة عشرة: أنه يفتح له بابًا عظيمًا من أبواب المعرفة،

وكلما أكثر من الذكر ازداد من المعرفة.

الرابعة عشرة: أنه يورثه الهيبة لربه عزّ وجلّ وإجلاله، لشدة استيلائه على قلبه وحضوره مع الله تعالى، بخلاف الغافل فإن حجاب الهيبة رقيق في قلبه.

الخامسة عشرة: أنه يورثه ذكرَ الله تعالى له كما قال تعالى: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُواْ لِي وَلاَ تَكْفُرُونِ {البقرة/152}﴾ ولو لم يكن في الذكر إلاّ هذه وحدها لكفي بها فضلاً وشرفًا، وقال ﷺ فيما يروي عن ربه تبارك وتعالى:

﴿من ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، ومن ذكرني في مَلَإٍ ذكرته في مَلَإٍ خير منهم﴾.

السادسة عشرة: أنه يورث حياة القلب، وسمعت شيخ الإسلام ابن تيمية قدس الله تعالى روحه يقول:

> الذكر للقلب مثل الماء للسمك، فكيف يكون حال السمك إذا فارق الماء؟

السابعة عشرة: أنه قوت القلب والروح، فإذا فقده العبد صار بمنزلة الجسم إذا حيل بينه وبين قوته. وحضرت شيخ الإسلام ابن تيمية مرة صلى الفجر، ثم جلس يذكر الله تعالى إلى قريب من انتصاف النهار، ثم التفت إليَّ وقال: هذه غَدوتي، ولو لم أتغذ هذا الغداء سقطت قوتي. أو كلامًا قريبًا من هذا. وقال لي مرة: لا أترك الذكر إلاّ بنية إجمام نفسي وإراحتها لأستعدَّ بتلك الراحة لذكر آخر. أو كلامًا هذا معناه.

الثامنة عشرة: أنه يورث جلاء القلب من صدإه كما تقدم في الحديث، وكل شيء له صدأ، وصدأ القلب الغفلة والهوى،

وجلاؤه الذكر والتوبة والاستغفار، وقد تقدم هذا المعنى.

التاسعة عشرة: أنه يحيطُ الخطايا ويذهبها، فإنه من أعظم الحسنات، والحسنات يذهبن السيئات.

العشرون: أنه يزيل الوحشة بين العبد وبين ربه تبارك وتعالى، فإن الغافل بينه وبين الله عزّ وجلّ وحشة لا تزول إلاّ بالذكر.

الحادية والعشرون: أن ما يذكر به العبدُ ربَّه عزّ وجلّ من جلاله وتسبيحه وتحميده يذكّر بصاحبه عند الشدة، فقد روى الإمام أحمد في المسند عن النبي ﷺ أنه قال: ﴿**إن ما تذكرون من جلال الله عزّ وجلّ من التهليل والتكبير والتحميد يتعاطفن حول العرش لهن دوي كدوي النحل يذكّرن بصاحبهن. أفلا يحب أحدكم أن يكون له ما يذكر به**﴾؟ هذا الحديث أو معناه.

الثانية والعشرون: أن العبد إذا تعرف إلى الله تعالى بذكره

في الرخاء عرفه في الشدة، وقد جاء أثر معناه: أن العبد المطيع الذاكر لله تعالى إذا أصابته شدّة أو سأل الله تعالى حاجة؟ قالت الملائكة: يا رب صوت معروف، من عبد معروف والغافل المعرض عن الله عزّ وجلّ إذا دعاه وسأله؟ قالت الملائكة: يا رب، صوت منكر، من عبد منكر.

الثالثة والعشرون: أنه ينجي من عذاب الله تعالى، كما قال معاذ رضي الله عنه -ويُروى مرفوعًا- ﴿ما عمل آدمي عملاً أنجى من عذاب الله عزّ وجلّ من ذكر الله تعالى﴾.

الرابعة والعشرون: أنه سبب نزول السكينة، وغشيان الرحمة، وحفوف الملائكة بالذاكر كما أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم.

الخامسة والعشرون: أنه سبب اشتغال اللسان عن الغيبة والنميمة والكذب والفحش والباطل، فإن العبد لا بد له أن يتكلم، فإن لم يتكلم بذكر الله تعالى وذكر أوامره تكلم بهذه المحرمات أو بعضها، ولا سبيل إلى السلامة منها البتة إلاّ

بذكر الله تعالى، والمشاهدة والتجربة شاهدان بذالك. فمن عوَّد لسانه ذكر الله صان لسانه عن الباطل واللغو، ومن يبس لسانه عن ذكر الله تعالى ترطب بكل باطل ولغو وفحش، ولا حول ولا قوة إلاّ بالله.

السادسة والعشرون: أن مجالس الذكر مجالس الملائكة، ومجالس اللغو والغفلة مجالس الشياطين. فليتخيّر العبدُ أعجبهما إليه وأولاهما به، فهو مع أهله في الدنيا والآخرة.

السابعة والعشرون: أنه يسعد الذاكر بذكره، ويسعد به جليسه، وهذا هو المبارك أين ما كان. والغافل واللاغي يشقى بلغوه وغفلته، ويشقى به مجالسه.

الثامنة والعشرون: أنه يؤمن العبد من الحسرة يوم القيامة، فإن كل مجلس لا يذكر العبدُ فيه ربَّه تعالى كان عليه حسرة وتِرَةً يوم القيامة.

التاسعة والعشرون: أنه مع البكاء في الخلوة سببٌ لإظلال

الله تعالى العبدَ يوم الحر الأكبر في ظل عرشه، والناس في حر الشمس قد صهرتهم في الموقف، وهذا الذاكر مستظل بظل عرش الرحمن عزّ وجلّ.

الثلاثون: أن الاشتغال به سبب لعطاء الله للذاكر أفضل ما يعطي السائلين، ففي الحديث عن عمر بن الخطاب قال: قال رسول الله ﷺ: ﴿**قال سبحانه وتعالى: من شغله ذكري عن مسألتي أعطيته أفضل ما أعطي السائلين**﴾.

الحادية والثلاثون: أنه أيسر العبادات، وهو من أجلها وأفضلها، فإن حركة اللسان أخف حركات الجوارح وأيسرها، ولو تحرك عضو من الإنسان في اليوم والليلة بقدر لسانه لشق عليه غاية المشقة بل لا يمكنه ذلك.

الثانية والثلاثون: أنه غراس الجنة، فقد روي الترمذي في جامعه من حديث عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: ﴿**لَقِيتُ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِي إبْرَاهيمَ الخليل عليه**

السَّلام فقالَ يا مُحَمدُ: أَقْرِئ أُمّتَكَ مِنّي السّلاَمَ وَأخْبِـرْهُمْ أَنّ الْجَنّةَ طَيّبَةُ التّرْبَةِ عَذْبَةُ المَاءِ، وَأنّهَا قِيعَانٌ، وَأَنّ غِرَاسَهَا: سُبْحَانَ الله والْحَمْدُ لله وَلاَ إلَهَ إلاّ الله، وَالله أكْبَرُ﴾ قال الترمذي: حديث حسن غريب من حديث ابن مسعود.

وفي الترمذي من حديث أبي الزبير عن جابر عن النبي ﷺ قال: ﴿من قال سبحان الله وبحمده غرست له نخلة في الجنة﴾ قال الترمذي: حديث حسن صحيح

الثالثة والثلاثون: أن العطاء والفضل الذي رتب عليه لم يرتب على غيره من الأعمال، ففي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه أنّ رسول الله ﷺ قال: ﴿مَن قال: لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد، وهو على كلّ شيء قدير، في يوم مائة مرّة كانت له عدل عشر رقاب، وكتبت له مائة حسنة، ومحيت عنه مائة سيئة، وكانت له حرزًا من الشيطان يومه ذلك حتى يمسي، ولم يأت أحد

بأفضل ممّا جاء به إلاّ رجل عمل أكثر منه. ومن قال: سبحان الله وبحمده في يوم مائة مرة حُطَّتْ خطاياه وإن كانت مثل زبد البحر﴾. وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة قال: قال رسول اللهﷺ: ﴿لأن أقول: سبحان الله، والحمد الله ولا إله إلاّ الله، والله أكبر: أحبُّ إليَّ ممّا طلعت عليه الشمس﴾ .

وفي الترمذي من حديث أنس أن رسول اللهﷺ قال: ﴿من قال حين يصبح أو يمسي: اللّهمّ إني أصبحت أشهدك وأشهد حملة عرشك وملائكتك وجميع خلقك: أنك أنت الله لا إله إلاّ أنت، وأن محمدًا عبدك ورسولك، أعتق الله ربعه من النار، ومن قالها مرتين أعتق الله نصفه من النار، ومن قالها ثلاثًا أعتق الله ثلاثة أرباعه من النار، ومن قالها أربعًا أعتقه الله تعالى من النار﴾. وفيه: عن ثوبان أن رسول اللهﷺ قال: ﴿من قال حين يمسي وإذا أصبح: رضيت

بالله ربًا، وبالإسلام دينًا، وبمحمد رسولاً، كان حقًا على الله أن يرضيه﴾ وفي الترمذي: ﴿من دخل السوق فقال: لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد يحيي ويميت، وهو حي لا يموت، بيده الخير وهو على كل شيء قدير، كتب الله له ألف ألف حسنة، ومحا عنه ألف ألف سيئة، ورفع له ألف ألف درجة﴾.

الرابعة والثلاثون: أن دوام ذكر الرب تبارك وتعالى يوجب الأمان من نسيانه، الذي هو سبب شقاء العبد معاشه ومعاده، فإن نسيان الرب سبحانه وتعالى يوجب نسيان «العبد» نفسَه ومصالحها، قال تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ أُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ {الحشر/19}﴾ وإذا نسي العبد نفسه أعرض عن مصالحها ونسيها واشتغل عنها فهلكت وفسدت ولا بد، كمن له زرع أو بستان أو ماشية أو غير ذلك ممّا صلاحه وفلاحه بتعاهده والقيام عليه، فأهمله

ونسيه، واشتغل عنه بغيره وضيع مصالحه فإنه يفسد ولا بد. هذا مع إمكان قيام غيره مقامه فيه، فكيف الظن بفساد نفسه وهلاكها وشقائها إذا أهملها ونسيها واشتغل عن مصالحها، وعطل مراعاتها، وترك القيام عليها بما يصلحها؟ فما شئت من فساد وهلاك وخيبة وحرمان! وهذا هو الذي صار أمره كله فُرطًا فانفرط عليه أمره وضاعت مصالحه، وأحاطت به أسباب القطوع والخيبة والهلاك.

ولا سبيل إلى الأمان من ذلك إلاّ بدوام ذكر الله تعالى واللهج به، وأن لا يزال اللسان رطبًا به، وأن يُنزِله منزلة حياته التي لا غنى له عنها ومنزلة غذائه الذي إذا فقده فسد جسمه وهلك، وبمنزلة الماء عند شدة العطش، وبمنزلة اللباس في الحر والبرد، وبمنزلة الكنّ في شدة الشتاء والسموم.

فحقيق بالعبد أن يُنزل ذكر الله منه بهذه المنزلة وأعظم، فأين هلاك الروح والقلب وفسادهما من هلاك البدن وفساده؟

هذا هلاك لا بد منه وقد يعقبه صلاح لا بد، وأما هلاك القلب والروح فهلاك لا يرجى معه صلاح ولا فلاح، ولا حول ولا قوة إلاّ بالله العلي العظيم.

ولو لم يكن في فوائد الذكر وإدامته إلاّ هذه الفائدة وحدها لكفى بها، فمن نسي الله تعالى نسّاه نفسه في الدنيا، ونسيه في العذاب يوم القيامة قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى {طه/124} قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا {طه/125} قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنسَى {طه/126}﴾. أي تنسى في العذاب كما نسيت آياتي فلم تذكرها ولم تعمل بها. وإعراضه عن ذكره يتناول إعراضه عن الذكر الذي أنزله، وهو أن يذكر الذي أنزله في كتابه وهو المراد بتناول إعراضه عن أن يذكر ربه بكتابه وأسمائه وصفاته وأوامره وآلائه ونعمه، فإن هذه كلها توابع إعراضه عن كتاب ربه تعالى، فإن الذكر في

الآية إما مصدر مضاف إلى الفاعل؟ أو مضاف إضافة الأسماء المحضة؟ أي: أعرض عن كتابي ولم يَتْلُه ولم يتدبره ولم يعمل به ولا فهمه، فإن حياته ومعيشته لا تكون إلاّ مضيقة عليه منكدة معذبًا فيها. (والضنك): الضيق والشدة والبلاء. ووصف المعيشة نفسها بالضنك مبالغة، وفسرت هذه المعيشة بعذاب البرزخ، والصحيح: أنها تتناول معيشته في الدنيا وحاله في البرزخ، فإنه يكون في ضنك في الدارين، وهو شدة وجهد وضيق، وفي الآخرة يُنسى في العذاب. وهذا عكس أهل السعادة والفلاح فإن حياتهم في الدنيا أطيب الحياة ولهم في البرزخ وفي الآخرة أفضل الثواب.

قال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً {النحل/97}﴾ فهذا في الدنيا، ثم قال: ﴿وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ {النحل/97}﴾ فهذا في البرزخ والآخرة. وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُواْ فِي اللّهِ مِن

بَعْدِ مَا ظُلِمُواْ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَأَجْرُ الآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ {النحل/41}﴾ وقال تعالى: ﴿وَأَنِ اسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُواْ إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَاعًا حَسَنًا إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ{هود/3}﴾ فهذا في الآخرة. وقال تعالى: ﴿قُلْ يَا عِبَادِ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ {الزمر/10}﴾.

فهذه أربع مواضيع ذكر تعالى فيها أنه يجزي المحسن بإحسانه جزاءين: جزاء في الدنيا وجزاء في الآخرة، فالإحسان له جزاء معجل ولا بد، والإساءة لها جزاء معجل ولا بد. ولو لم يكن إلاّ ما يجازى به المحسن من انشراح صدره وانفساح قلبه وسروره ولذّته بمعاملة ربه عزّ وجلّ وطاعته وذكره ونعيم روحه بمحبته وذكره وفرحه بربه سبحانه وتعالى أعظم ممّا يفرح القريب من السلطان الكريم

عليه بسلطانه لكفاه، وما يُجازى به وخوفه وهذا أمر لا يكاد من له أدنى حس وحياة يرتاب فيه، بل الغموم والهموم والأحزان والضيق عقوبات عاجلة ونار دنيوية وجهنم حاضرة، والإقبال على الله تعالى والإنابة إليه والرضاء به وعنه وامتلاء القلب من محبته، واللهج بذكره، والفرح والسرور بمعرفته: ثواب عاجل، وجنة وعيش لا نسبة لعيش الملوك إليه البتة. وسمعت شيخ الإسلام ابن تيمية قدس الله روحه يقول:

إنّ في الدّنيا جنةً من لم يدخلها لا يدخل جنة الآخرة.

وقال لي مرة: ما يصنع أعدائي بي؟ أنا جنتي وبستاني في صدري، إن رحت فهي معي لا تفارقني، إن حبسي خلوة، وقتلي شهادة، وإخراجي من بلدي سياحة. وكان يقول في محبسه في القلعة: لو بذلت لهم مِلْأَ هذه القلعة ذهبًا ما عدل عندي شكر هذا النعمة. أو قال: ما جزيتهم على ما تسببوا لي فيه من الخير، ونحو هذا. وكان يقول في سجوده

وهو محبوس:

«اللّهمّ أعنّي على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك ما شاء الله»

وقال لي مرة: المحبوس من حبس قلبه عن ربه تعالى، والمأسور من أسره هواه. ولما دخل إلى القلعة وصار داخل سورها نظر إليه وقال: ﴿فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِن قِبَلِهِ الْعَذَابُ {الحديد/13}﴾ وعَلِم اللّهُ ما رأيت أحدًا أطيب عيشًا منه قط، مع ما كان فِيه من ضيق العيش وخلاف الرفاهية والنعيم بل ضدها، ومع ما كان فيه من الحبس والتهديد والإرهاق، وهو مع ذلك من أطيب الناس عيشًا، وأشرحهم صدرًا، وأقواهم قلبًا، وأسرِّهم نفسًا، تلوح نضرة النعيم على وجهه. وكنا إذا اشتد بنا الخوف وساءت منا الظنون وضاقت بنا الأرض أتيناه، فما هو إلاّ أن نراه ونسمع كلامه فيذهب ذلك كله، وينقلب انشراحًا وقوة ويقينًا وطمأنينة. فسبحان من أشهد عباده جنته قبل لقائه، وفتح

لهم أبوابها في دار العمل، فآتاهم من روحها ونسيمها وطيبها ما استفرغ قواهم لطلبها والمسابقة إليها.

وكان بعض العارفين يقول: لو علم الملوك وأبناء الملوك ما نحن فيه: لجالدونا عليه بالسيوف. وقال آخر: مساكين أهل الدنيا، خرجوا منها وما ذاقوا أطيب ما فيها؟ قيل: وما أطيب ما فيها؟ قال: محبة الله تعالى ومعرفته وذكره. أو نحو هذا. وقال آخر: إنه لتمرّ بالقلب أو قات يرقص فيها طربًا. وقال آخر: إنه لتمر بي أوقات أقول: إن كان أهل الجنة في مثل هذا إنهم لفي عيش طيب.

فمحبة الله تعالى ومعرفته ودوام ذكره والسكون إليه، والطمأنينة إليه وإفراده بالحب والخوف والرجاء والتوكل والعامة بحيث يكون هو وحده المستولي على هموم العبد وعزماته وإرادته: هو جنة الدنيا والنعيم الذي لا يشبهه نعيم، وهو قرة عين المحبين، وحياة العارفين. وإنما تقر

عيون الناس به على حسب قرة أعينهم بالله عزّ وجلّ، فمن قرَّت عينه بالله قرت به كل عين، ومن لم تقر عينه بالله تقطعت نفسه على الدنيا حسرات.

وإنّما يصدِّق هذا من في قلبه حياةٌ، وأمّا ميت القلب فيوحشك ثَمَّ، فاستأنس بغيبته ما أمكنك، فإنك لا يوحشك إلاّ حضوره عندك، فإذا ابتليت به فأعطه ظاهرك، وترحّل عنه بقلبك، وفارقه بسرك، ولا تُشغَلْ به عما هو أولى بك. واعلم أن الحسرة كل الحسرة الاشتغالُ بمن لا يجر عليك الاشتغال به إلاّ فوت نصيبك وحظك من الله عزّ وجلّ، وانقطاعك عنه، وضياع وقتك، وضعف عزيمتك، وتفرق همك.

فإذا بُليتَ بهذا -ولا بدّ لك منه- فعامل الله تعالى فيه، واحتسب عليه ما أمكنك وتقرب إلى الله تعالى بمرضاته فيه، واجعل اجتماعك به متجرًا لك، لا تجعله خسارة. وكن معه كرجل سائر في طريق عُرض له رجل أوقفه عن سيره، فاجتهد

أن تأخذه معك وتسير به فتحمله ولا يحملك، فإن أبى ولم يكن في سيره مطمع فلا تقف معه بل اركب الدرب ودعه، ولا تلتفت إليه فإنه قاطع الطريق ولو كان من كان، فانج بقلبك، وضنَّ بيومك وليلتك، لا تغرب عليك الشمس قبل وصول المنزلة فتؤخذ أو يطلع الفجر وأنت في المنزلة، فيسير، الرفاق فتصبح وحدك، وأنَّى لك بلحاقهم؟

الخامسة والثلاثون: أن الذكر يُسيِّر العبد وهو قاعد على فراشه وفي سوقه وفي حال صحته وسقمه، وفي حال نعيمه ولذته، ومعاشه وقيامه وقعوده واضطجاعه وسفره وإقامته، فليس في الأعمال شيءٌ يعمّ الأوقات والأحوال مثله، حتى إنه يُسيِّر العبد وهو نائم على فراشه فيسبق القائم مع الغفلة، فيصبح هذا وقد قطع الركب وهو مستلق على فراشه، ويصبح ذلك الغافل في ساقة الركب، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاءُ.

وحُكي عن رجل من العبَّاد: أنه نزل برجل ضيفًا فقام

العابد ليلة يصلي وذلك الرجل مستلق على فراشه، فلما أصبحا قال له العابد: سبقك الركب، أو كما قال. فقال: ليس الشأن فيمن بات مسافرًا وأصبح مع الركب، الشأن فيمن بات على فراشه وأصبح قد قطع الركب. وهذا ونحوه له محمل صحيح ومحمل فاسد، فمن حكم على أن الراقد المضطجع على فراشه يسبق القائم القانت فهو باطل، وإنما محمله: أن هذا المستلقي على فراشه علّق قَلبَه بربه عزّ وجلّ، وألصق حبة قلبه بالعرش، وبات قلبه يطوف حول العرش مع الملائكة قد غاب عن الدنيا ومن فيها، وقد عاقه عن قيام الليل عائق من وجع أو برد يمنعه القيام، أو خوف على نفسه من رؤية عدو يطلبه، أو غير ذلك من الأعذار، فهو مستلق على فراشه وفي قلبه ما اللّهُ تعالى به علمٌ. وآخر قائم يصلي ويتلو وفي قلبه من الرياء والعجب وطلب الجاه والمحمدة عند الناس ما الله به عليمٌ أو قلبه في واد وجسمه في واد فلا ريب أن ذلك الراقد يصبح وقد سبق هذا القائمَ بمراحل كثيرة،

فالعمل على القلوب لا على الأبدان، والمعوَّل على الساكن لا على الأطلال، والاعتبارُ بالمحرِّك الأول، فالذّكرُ يثير العومَ الساكن، ويهيج الحب المتواري، ويبعث الطلب الميَّتَ.

الذكر وحقيقة النور الإلاهي

السادسة والثلاثون: أن الذكر نور للذاكر في الدنيا، ونور له في قبره، ونور له في معاده، يسعى بين يديه على الصراط، فما استنارت القلوب والقبور بمثل ذكر الله تعالى. قال الله تعالى: ﴿أَوَ مَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا {الأنعام/122}﴾ فالأوّل هو المؤمن استنار بالإيمان بالله ومحبته ومعرفته وذكره، والآخر هو الغافل عن الله تعالى، المعرض عن ذكره ومحبته، والشأن كل الشأن، والفلاح كل الفلاح في النور، والشقاء كل الشقاء في فواته. ولهذا كان النبي ﷺ: يبالغ في سؤال ربه تبارك وتعالى حين يسأله أن يجعله في

لحمه، وعظامه، وعصبه، وشعره، وبشره، وسمعه، وبصره، ومن فوقه، ومن تحته، وعن يمينه، وعن شماله، وخلفه، وأمامه، حتى يقول: ﴿**واجعلني نورًا**﴾ فسأل ربه تبارك وتعالى أن يجعل النور في ذرَّاته الظاهرة والباطنة، وأن يجعله محيطًا به من جميع جهاته، وأن يجعل ذاته وجملته نورًا. فدين الله عزّ وجلّ نور، وكتابه نور، ورسوله نور، وداره التي أعدها لأوليائه نور يتلألأ، وهو تبارك وتعالى نور السماوات والأرض، ومن أسمائه النور، وأشرقت الظلمات لنور وجهه. وفي دعاء النبي ﷺ يوم الطائف:

﴿أَعُوذُ بِنُورِ وَجْهِكَ الّذِي أَشْرَقَتْ لَهُ الظّلُمَاتُ، وَصَلُحَ عَلَيْهِ أَمْرُ الدّنْيَا وَالْآخِرَةِ مِنْ أَنْ تُنْزِلَ بِي غَضَبَكَ، أَوْ يَحِلّ عَلَيّ سُخْطُكَ، لَكَ الْعُتْبَى حَتّى تَرْضَى، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوّةَ إلّا بِكَ﴾.

وقال ابن مسعود رضي الله عنه : ليس عند ربكم ليل ولا نهار، نور السماوات والأرض من نور وجهه. وفي بعض ألفاظ هذا الأثر: نور السماوات من نور وجهه. ذكره عثمان الدارمي. وقد قال تعالى: ﴿وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا {الزمر/69}﴾ فإذا جاء تبارك وتعالى يوم القيامة للفصل بين عباده أشرقت بنوره الأرض، وليس إشراقها يومئذٍ بشمس ولا قمر، فإن الشمس تكوِّر، والقمر يخسف، ويذهب نورهما، وحجابه تبارك وتعالى النور.

قال أبو موسى قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بخمس كلمات، فقال: ﴿إن الله لا ينام ولا ينبغي له أن ينام ولكنه يخفض القسط ويرفعه، يرفع إليه عمل الليل قبل عمل النهار وعمل النهار قبل عمل الليل، حجابه النور لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه «ثم قرأ» ﴿أَن بُورِكَ مَن فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا {النمل/8}﴾.

فاستنارة ذلك الحجاب بنور وجهه، ولولاه لأحرقت

سبحات وجهه ونوره ما انتهى إليه بصره. ولهذا لما تجلى تبارك وتعالى للجبل، وكشف من الحجاب شيئًا يسيرًا ساخ الجبل في الأرض، وتدكدك ولم يقم لربه تبارك وتعالى. وهذا معنى قول ابن عباس في قوله سبحانه وتعالى: ﴿لاَّ تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ {الأنعام/103}﴾ قال ذلك الله عزّ وجلّ، إذا تجلى بنوره لم يقم له شيء. وهذا من بديع فهمه ﷺ ودقيق فطنته، كيف لا وقد دعا له رسول الله ﷺ أن يعلمه الله التأويل. فالرب تبارك وتعالى يُرى يوم القيامة بالأبصار عيانًا، ولكن يستحيل إدراك الأبصار له وإنْ رأته، فالإدراك أمرٌ وراء الرؤية، وهذه الشمس –ولله المثل لأعلى– نراها ولا ندركها كما هي عليه، ولا قريبًا من ذلك، ولذلك قال ابن عباس لمن سأله عن الرؤية وأورد عليه: ﴿لاَّ تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ {الأنعام/103}﴾ فقال: ألست ترى السماء؟ قال: بلى. قال: أفتدركها؟ قال: لا. قال: فالله تعالى أعظم وأجل.

وقد ضرب سبحانه وتعالى النور في قلب عبده مثلاً لا يعقله إلاّ العالمون، فقال سبحانه وتعالى: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ زَيْتُونِةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُّورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاء وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ {النور/35}﴾ قال أُبيٌّ بن كعب: مثل نوره في قلب المسلم.

وهذا هو النور الذي أودعه في قلبه من معرفته ومحبته والإيمان به وذكره، وهو نوره الذي أنزله إليهم، فأحياهم به، وجعلهم يمشون به بين الناس، وأصله في قلوبهم، ثم تقوى مادته فتتزايد حتى يظهر على وجوههم وجوارحهم وأبدانهم، بل وثيابهم ودورهم، يبصره من هو من جنسهم، وسائر الخلق منكرٌ، فإذا كان يوم القيامة برز ذلك النور، وصار بأيمانهم

يسعى بين أيديهم في ظلمة الجسر حتى يقطعوه، وهم فيه على حسب قوته وضعفه في قلوبهم في الدنيا، فمنهم من نوره كالشمس وآخر كالقمر وآخر كالنجم، وآخر كالسراج، وآخر يعطى نورًا على إبهام قدمه، يضيءُ مرة ويطفأ أخرى -إذا كانت هذه حال نوره في الدنيا- فأُعطي على الجسر بمقدار ذلك، بل هو نفس نوره ظهر له عيانًا، ولما لم يكن للمنافق نور ثابت في الدنيا، بل كان نوره ظاهرًا، لا باطنًا، أُعطي نورًا ظاهرًا مَآله إلى الظلمة والذهاب.

وضرب الله عزّ وجلّ لهذا النور، ومحله، وحامله، ومادته مثلاً بالمشكاة، وهي الكوة في الحائط، فهي مثل الصدر، وفي تلك المشكاة زجاجة من أصفى الزجاج، وحتى شبهت بالكوكب الدري في بياضه وصفائه، وهي مثل القلب، وشبه بالزجاجة لأنها جمعت أوصافًا هي في قلب المؤمن، وهي: الصفاء، والرقة والصلابة، فيرى الحقّ والهدى بصفائه، وتحصل منه الرأفة والرحمة والشفقة برقته، ويجاهد أعداء

الله تعالى، ويغلظ عليهم، ويشتد في الحق، ويصلب فيه بصلابته، ولا تُبطل صفة منه صفة أخرى، ولا تعارضها، بل تساعدها وتعاضدها: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاء عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاء بَيْنَهُمْ {الفتح/29}﴾ وقال تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ {آل عمران/159}﴾ وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ {التوبة/73}﴾ وفي أثر: «القلوب آنية الله تعالى في أرضه، فأحبها إليه أرقُّها وأصلبها وأصفاها» وبإزاء هذا القلب قلبان مذمومان في طرفي نقيض:

أحدهما: قلب حجري قاس لا رحمة فيه، ولا إحسان ولا بر ولا له صفاء يرى به الحق، بل هو جبار جاهل: لا عالم بالحق، ولا راحم بالخلق.

وبإزائه: قلب ضعيف مائي لا قوة فيه ولا استمساك، بل يقبل كل صورة، وليس له قوة حفظ تلك الصورة، ولا قوة

التأثير في غيره، وكل ما خالطه أثَّر فيه من قويّ وضعيف، وطيب وخبيث.

وفي الزجاجة مصباح، وهو النور الذي في الفتيلة، وهي حاملته، ولذلك النور مادة، وهو زيت قد عصر من زيتونة في أعدل الأماكن تصيبها الشمس أول النهار وآخره، فزيتها من أصفى الزيت وأبعده من الكدر، حتى إنه ليكاد من صفائه يضيء بلا نار، فهذه مادة نور المصباح.

وكذلك مادة نور المصباح الذي في قلب المؤمن هو من شجرة الوحي التي هي أعظم الأشياء بركة، وأبعدها من الانحراف، بل هي أوسط الأمور وأعدلها وأفضلها، لم تنحرف بانحراف النصرانية ولا انحراف اليهودية، بل هي وسط بين الطرفين المذمومين في كل شيء، فهذه مادة مصباح الإيمان في قلب المؤمن.

ولما كان ذلك الزيت قد اشتد صفاؤه حتى كاد أن يضيء

بنفسه، ثم خالط النار فاشتدت بها إضاءته وقويت مادة ضوء النار به، كان ذلك نورًا على نور. وهكذا المؤمن: قلبُه مضيء يكاد يعرف الحق بفطرته وعقله، ولكن لا مادة له من نفسه، فجاءت مادة الوحي فباشرت قلبه، وخالطت بشاشته فازداد نورًا بالوحي على نوره الذي فطره الله تعالى عليه، فاجتمع له نور الوحي إلى نور الفطرة، نور على نور، فيكاد ينطق بالحق وإن لم يسمع فيه أثرًا، ثم يسمع الأثر مطابقًا لما شهدت به فطرته فيكون نورًا على نور، فهذا شأن المؤمن يدرك الحق بفطرته مجملاً، ثم يسمع الأثر جاء به مفصلاً، فينشأ إيمانه عن شهادة الوحي والفطرة.

فليتأمل اللبيب هذه الآية العظيمة ومطابقتها لهذه المعاني الشريفة: فذكر سبحانه وتعالى نوره في السموات والأرض، ونوره في قلوب عباده المؤمنين، النور المعقول المشهود بالبصائر والقلوب، والنور المحسوس المشهود بالأبصار الذي استنارت به أقطار العالم العلوي والسفلي، فهما نوران عظيمان أحدهما

أعظم من الآخر، وكما أنه إذا فقد أحدهما من مكان أو موضع لم يعش فيه آدمي ولا غيره، لأن الحيوان إنما يتكون حيث النور، ومواضع الظلمة التي لا يشرق عليها نور لا يعيش فيها حيوان ولا يتكون البتة، فكذلك أمة فُقِد فيها نور الوحي والإيمان ميتةٌ وقلب فقد منه هذا النور ميت ولا بد، لا حياة له البتة، كما لا حياة للحيوان في مكان لا نور فيه. والله سبحانه وتعالى يقرن بين الحياة والنور كما في قوله عزّ وجلّ: ﴿أَوَ مَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا {الأنعام/122}﴾ وكذلك قوله عزّ وجلّ: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَنْ نَّشَاء مِنْ عِبَادِنَا {الشورى/52}﴾ وقد قيل: إن الضمير في «جعلناه» عائد إلى الأمر، وقيل: إلى الكتاب، وقيل: إلى الإيمان، والصواب: أنه عائد إلى الروح، أي: جعلنا ذلك

الروح الذي أوحيناه إليك نورًا، فسماه روحًا لما يحصل به من الحياة، وجعله نورًا لما يحصل به من الإشراق والإضاءة، وهما متلازمان، فحيث وجدت هذه الحياة بهذا الروح وجدت الإضاءة والإستنارة، وحيث وجدث الاستنارة والإضاءة وجدت الحياة، فمن لم يقبل هذا الروح فهو ميت مظلم، كما أن من فارق بدنه روحُ الحياة فهو هالكٌ مضمحلّ، فلهذا يضرب سبحانه وتعالى المثلين: المائي والناري معًا لما يحصل بالماء من الحياة وبالنار من الإشراق والنور، كما ضرب ذلك في أول سورة البقرة في قوله تعالى: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَاراً فَلَمَّا أَضَاءتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لاَّ يُبْصِرُونَ {البقرة/17}﴾ وقال: ﴿ذَهَبَ اللّهُ بِنُورِهِمْ﴾ ولم يقل بنارهم. لأن النار فيها الإحراق والإشراق، فذهب بما فيه الإضاءةُ والإشراقُ، وأبقى عليهم ما فيه الأذى والإحراق.

وكذلك حال المنافقين: ذهب نور إيمانهم بالنفاق، وبقي في

قلوبهم حرارة الكفر والشكوك والشبهات تغلي في قلوبهم، وقلوبهم قد صليت بحرها وأذاها وسمومها ووهجها في الدنيا، فأصلاها الله تعالى إياها يوم القيامة نارًا موقدة تطلع على الأفئدة.

فهذا مثل من لم يصحبه نور الإيمان في الدنيا بل خرج منه وفارقة بعد أن استضاء به، وهو حال المنافق عرف ثم أنكر، وأقر ثم جحد، فهو في ظلمات أصم أبكم أعمى، كما قال تعالى في حق إخوانهم من الكفار: ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا صُمٌّ وَبُكْمٌ فِي الظُّلُمَاتِ {الأنعام/39}﴾ قال تعالى: ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُواْ كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لاَ يَسْمَعُ إِلاّ دُعَاء وَنِدَاء صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ {البقرة/171}﴾ وشبه تعالى حال المنافقين في خروجهم من النور بعد أن أضاء لهم بحال مستوقد النار وذهاب نورها عنه بعد أن أضاءت ما حوله، لأن المنافقين بمخالطتهم المسلمين وصلاتهم معهم، وصيامهم معهم،

وسماعهم القرآن ومشاهدتهم أعلام الإسلام ومناره قد شاهدوا الضوء ورأوا النور عيانًا، ولهذا قال تعالى في حقهم: ﴿فَهُمْ لاَ يَرْجِعُونَ {البقرة/18}﴾ إليه لأنهم فارقوا الإسلام بعد أن تلبسوا به واستناروا فهم لا يرجعون إليه.

وقال تعالى في الكفار: ﴿فَهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ {البقرة/171}﴾ لأنهم لم يعقلوا الإسلام ولا دخلوا فيه ولا استناروا به، ولا يزالون في ظلمات الكفر، صم بكم عمي، فسبحان من جعل كلامه لأدواء الصدور شافيًا، وإلى الإيمان وحقائقه مناديًا، وإلى الحياة الأبدية والنعيم المقيم داعيًا، وإلى طريق الرشاد هاديًا. لقد أسمع منادي الإيمان لو صادف آذانًا واعية، وشفت مواعظ القرآن لو وافقت قلوبًا خالية، ولكن عصفت على القلوب أهوية الشبهات والشهوات فأطفأت مصابيحها، وتمكنت منها أيدي الغفلة والجهالة فأغلقت أبواب رشدها وأضاعت مفاتيحها، وران عليه كسبُها فلم ينفع فيها الكلام، وسكرت

بشهوات الغي وشهادة الباطل فلم تصغ بعده إلى الملام، ووعظت بمواعظ أنكى فيها [من] الأسنة والسهام، ولكن ماتت في بحر الجهل والغفلة وأسر الهوى والشهوة، «**وما لجرح بميت إيلام**».

والمثل الثاني: قوله تعالى: ﴿أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ السَّمَاء فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصْابِعَهُمْ فِي آذَانِهِم مِّنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ واللّهُ مُحِيطٌ بِالْكافِرِينَ {البقرة/19}﴾ الصيب: المطر الذي يصوّب من السماء، أي: ينزل منها بسرعة، وهو مثل القرآن الذي به حياة القلوب: كالمطر الذي به حياة الأرض والنبات والحيوان، فأدرك المؤمنين ذلك منه، وعلموا ما يحصل به من الحياة التي لا خطر لها، فلم يمنعهم منها ما فيه من الرعد والبرق وهو الوعيد والتهديد والعقوبات والمثلات التي حذر الله بها من خالف أمره، وأخبر أنه مُنزِلُها بمن كذب رسول الله ﷺ، أو ما فيه من الأوامر الشديدة

كجهاد الأعداء والصبر على الأمر، أو الأوامر الشاقة على النفوس التي هي بخلاف إرادتها فهي كالظلمات والرعد والبرق، ولكن من علم مواقع الغيث وما يحصل به من الحياة لم يستوحش لما معه من الظُّلمات والرعد والبرق، بل يستأنس لذلك ويفرح به لما يرجو من الحياة والخصب. وأما المنافق: فإنه لِعِمَى قلبه لم يجاوز بصره الظلمة، ولم ير إلاّ برقًا يكاد يخطف البصر، ورعدًا عظيمًا وظلمة، فاستوحش من ذلك وخاف منه، فوضع أصابعه في أذنيه لئلا يسمع صوت الرعد، وهاله ذلك البرق وشدة لمعانه وعظم نوره، فهو خائف أن يخطف معه بصره، لأن بصره أضعف من أن يثبت معه، فهو في ظلمة يسمع أصوات الرعد القاصف، ويرى ذلك البرق الخاطف، فإن أضاء له ما بين يديه مشى في ضوئه، وإن فقد الضوء قام متحيرًا لا يدري أين يذهب؟ ولجهله لا يعلم أن ذلك من لوازم الصيِّب الذي به حياة الأرض والنبات وحياته هو في نفسه، بل لا يدرك إلاّ رعدًا وبرقًا وظلمة، ولا شعور له

بما وراء ذلك، فالوَحْشةُ لازمة له، والرعب والفزع لا يفارقه!

وأما من أنس بالصيِّب وعلم أنه لا بد فيه من رعد وبرق وظلمة بسبب الغيم: استأنس بذلك ولم يستوحش منه، ولم يقطعه ذلك عن أخذه بنصيبه من الصيِّب.

فهذا مثل مطابق للصيِّب الذي نزل به جبريل عليه السلام من عند رب العالمين تبارك وتعالى على قلب رسول الله صلى الله عليه وسلم ليحيي به القلوب والوجود أجمع، اقتضت حكمته أن يقارنه من الغيم والرعد والبرق ما يقارن الصيِّب من الماء حكمةً بالغة وأسبابًا منتظمة نظمها العزيز الحكيم، فكان حظ المنافق من ذلك الصيَّب سحابه ورعوده وبروقه فقط، لم يعلم ما وراءه، فاستوحش بما أنس به المؤمنون، وارتاب بما اطمأن به العالمون، وشك فيما يتيقنه المبصرون العارفون، فبصره في المثل الناري كبصر الخفاش نحو الظهيرة، وسمعُه في المثل المائي كسمع من يموت من صوت الرعد، وقد ذُكِر عن بعض

الحيوانات أنها تموت من سمع الرعد!.

وإذا صادف هذه العقول والأسماعَ والأبصارَ شبهات شيطانيةٌ، وخيالات فاسدة، وظنون كاذبة جالتْ فيها وصالت، وقامت بها وقعدت، واتسع فيها مجالها، وكثر بها قيلها وقالها، فملأت الأسماع من هذيانها، والأرض من دواوينها، وما أكثر المستجيبين لهؤلاء والقابلين منهم والقائمين بدعوتهم، والمحامين عن حوزتهم، والمقاتلين تحت ألويتهم، والمكثرين لسوادهم؟! ولعموم البلية بهم وضرر القلوب بكلامهم هتك الله أستارهم في كتابة غاية الهتك وكشف أسرارهم غاية الكشف، وبيَّن علاماتهم وأعمالهم وأقوالهم، ولم يزل عزّ وجلّ يقول: ﴿ومنهم... ومنهم... ومنهم﴾ حتى انكشف أمرهم، وبانت حقائقهم وظهرت أسرارهم.

وقد ذكر الله سبحانه وتعالى في أول سورة البقرة أوصاف

المؤمنين والكفار والمنافقين، فذكر في أوصاف المؤمنين ثلاث آيات، وفي أوصاف الكفار آيتين، وفي أوصاف هؤلاء بضع عشرة آية، لعموم الابتلاء بهم وشدة المصيبة بمخالطتهم، فإنهم من الجلدة، مظهرون الموافقة والمناصرة، بخلاف الكافر الذي قد تأبد بالعداوة، وأظهر السريرة ودعاكَ بما أظهره إلى مزايلته ومفارقته.

ونظير هذين المثلين المذكورين [المثال الذي] في سورة الرعد في قوله تعالى: ﴿أَنزَلَ مِنَ السَّمَاء مَاء فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَّابِيًا {الرعد/17}﴾ فهذا هو المثل المائي: شبّه الوحي الذي أنزله بحياة القلوب بالماء الذي أنزله من السماء، وشبَّه القلوب الحاملة له بالأودية الحاملة للسيل، فقلت كبير يسع علمًا عظيمًا كواد كبير يسع ماء كثيرًا، وقلب صغير كواد صغير يسع علمًا قليلاً، فحملت القلوب من هذا العلم بقدرها، كما سالت الأودية بقدرها. ولما كانت الأودية

ومجاري السيول فيها الغثاء ونحوه ممّا يمر عليه السيل، فيحتمله السيل، فيطفو على وجه الماء زبدًا عاليًا، يمر عليه متراكبًا، ولكن تحته الماء الفرات الذي به حياة الأرض، فيقذف الوادي ذلك الغثاء إلى جنبتيه حتى لا يبقى الماء الذي تحت الغثاء يسقي الله تعالى به الأرض فيحيي به البلاد والعباد والشجر والدواب والغثاء يذهب جفاء يُجفى ويطرح على شفير الوادي.

فكذلك العلم والإيمان الذي أنزله من السماء في القلوب فاحتملته فأثار منها بسبب مخالطته لها ما فيها من غثاء الشهوات وزبد الشبهات الباطلة، فطفا في أعلاها، واستقر العلم والإيمان والهدى في جذر القلب وهو أصلهُ ومستقرُّه كما قال النبي ﷺ: ﴿**نزل الإيمانُ في جَذْر قلوب الرِّجال**﴾. رواه البخاري من حديث حذيفة.

فلا يزال ذلك الغثاء والزبد يذهب جفاء ويزول شيئًا فشيئًا

حتى يـزول كلـه، ويبقـى العلـم النـافع والإيمـان الخـالص في جذره القلب يَرِيدُه الناس فيشربون ويسقون ويمرعون.

وفي الصحيح من حديث أبي موسى عن النبيﷺ قال: ﴿مثل ما بعثني الله تعالى به مـن الهـدي والعلـم كمثـل غيـث أصاب أرضًا فكان منها طائفة طيبة قبلت المـاء فأنبتـت الكـلأ والعشب الكثير، وكان منها طائفة أجادب أمسكت الماء فسقى الناس وزرعوا، وأصاب منها طائفة أخرى إنّمـا هـي قيعـان لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ فـذلك مثـل مـن فقـه ديـن الله تعـالى ونفعه ما بعثني الله به فعلم وعلـم. ومثـل مـن لم يرفـع بـذلك رأسًـا، ولم يقبـل هـدي الله الـذي أرسـلت بـه﴾. فجعـل النبيﷺ الناس بالنسبة إلى الهدى والعلم ثلاث طبقات:

<u>الطبقة الأولى</u>: ورثة الرسل وخلفاء الأنبيـاء علـيهم الصـلاة والسلام، وهم الذين قاموا بالدين علمًا وعملاً ودعوة إلى الله عزّ وجـلّ ورسـوله. فهـؤلاء أتبـاع الرسـل —صـلوات الله علـيهم

وسلامه- حقًا، وهم بمنزلة الطائفة الطيبة من الأرض التي زكت فقبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير، فزكت في نفسها وزكا الناس بها، وهؤلاء هم الذين جمعوا بين النصيرة في الدين والقوة على الدعوة، ولذلك كانوا ورثة الأنبياء صلى الله عليهم وسلم الذين قال الله تعالى فيهم: ﴿وَاذْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَقَ وَيَعْقُوبَ أُوْلِي الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ {ص/45}﴾ فالأيدي: القوة في أمر الله، والأبصار: البصائر في دين الله عزّ وجلّ، فالبصائر يدرك الحق ويعرف، وبالقُوى يتمكن من تبليغه وتنفيذه والدعوة إليه، فهذه الطبقة كان لها قوة الحفظ والفهم في الدين والبصر بالتأويل، ففجَّرت من النصوص أنهار العلوم واستنبطت منها كنوزها ورزقت فيها فهما خاصًا، كما قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب -وقد سئل: هل خصَّكم رسول الله ﷺ بشيء دون الناس؟- فقال: «لا والذي فلق الحبة وبرأ النسمة، إلاّ فهماً يُؤتيه الله عبدًا في كتابه».

فهذا الفهم هو بمنزلة الكَلأ والعشب الكثير الذي أنبتته الأرض، وهو الذي تميزت به هذه الطبقة.

الطبقة الثانية: فإنها حفظة النصوص، وكان همها حفظها وضبطها، فوردها الناس وتلقوها منهم، فاستنبطوا منها واستخرجوا كنوزها واتَّجروا فيها، وبذورها في أرض قابلة للزرع والنبات، ووَرَدُها كل بحسبه ﴿قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ {البقرة/60}﴾ وهؤلاء هم الذين قال فيهم النبيﷺ: ﴿**نضَّر الله امرءًا سمع مقالتي فوعاها، ثم أداها كما سمعه، فرب حامل فقه غير فقيه، ورُبَّ حامل فقه إلى من هو أفقه منه**﴾ وهذا عبد الله بن عباس، رضي الله عنهما، حبر الأمة وترجمان القرآن: مقدارُ ما سمع من النبيﷺ لم يبلغ نحو العشرين حديثًا الذي يقول فيه: «سمعت ورأيت» وسمع الكثيرَ من الصحابة، وبورك في فهمه والاستنباط منه حتى ملأ الدنيا علمًا وفقهًا. قال أبو محمد بن حزم: وجمعت فتاويه في

سبعة أسفار كبار. وهي بحسب ما بلغ جامعَها، وإلاّ فعلم ابن عباس كالبحر، وفقهه واستنباطه وفهمه في القرآن بالموضع الذي فاق به الناس، وقد سمع كما سمعوا، وحفظ القرآن كما حفظوا، ولكن أرضه كانت من أطيب الأراضي وأقبلها للزرع فبذر فيها النصوص فأنبتت من كل زوج كريم: ﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاء وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ {الجمعة/4}﴾ وأين تقع فتاوى ابن عباس وتفسيره واستنباطه من فتاوى أبي هريرة وتفسيره؟ وأبو هريرة أحفظ منه بل هو حافظ الأمة على الإطلاق يؤدي الحديث كما سمعه، ويدرسه بالليل درسًا، فكانت همته مصروفة إلى الحفظ، وبلَّغ ما حفظه كما سمعه، وهِمَّةُ ابن عباس مصروفة إلى التفقه والاستنباط، وتفجير النصوص، وشق الأنهار منها، واستخراج كنوزها، وهكذا الناس بعده قسمان:

قسم حفّاظ: معتنون بالضبط والحفظ والأداء كما سمعوا، ولا

يستنبطون ولا يستخرجون كنوز ما حفظوه.

وقسم: معتنون بالاستنباط واستخراج الأحكام من النصوص، والتفقه فيها. فالأول كأبي زرعة وأبي حاتم وابن دارة. وقبلهم: كبندار محمد بن بشار، وعمرو الناقد، وعبد الرزاق، وقبلهم: كمحمد بن جعفر غندر وسعيد بن أبي عرُوبة وغيرهم من أهل الحفظ والإتقان والضبط لما سمعوه، من غير استنباط وتصرّفٍ واستخراج الأحكام من ألفاظ النصوص.

والقسم الثاني: كمالك والشافعي والأوزاعي وإسحاق والإمام أحمد بن حنبل والبخاري وأبي داود ومحمد بن نصر المروزي -وأمثالهم ممّن جمع الاستنباط والفقه إلى الرواية-.

فهاتان الطائفتان هما أسعد الخلق بما بعث الله تعالى به رسوله ﷺ وهم الذين قبلوه ورفعوا به رأسًا.

الطبقة الثالثة: وأما الطائفة الثالثة -وهم أشقى الخلق الذين لم يقبلوا هدي الله ولم يرفعوا به رأسًا- فلا حفظ ولا

فهم ولا رواية ولا دراية ولا رعاية.

فالطبقة الأولى: أهل رواية ورعاية ودراية.

والطبقة الثانية: أهل رواية ورعاية ولهم نصيب من الدراية، بل حظهم من الرواية أوفر.

والطبقة الثالثة: الأشقياء، لا رواية ولا دراية ولا رعاية: ﴿إِنْ هُمْ إِلاّ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا {الفرقان/44}﴾ فهم الذين يضيقون الديار، ويغلون الأسعار، إنْ هِمَّةُ أحدهم إلاّ بطنه وفرجه، فإن تَرقَّت همته كان همه –مع ذلك– لباسه وزينته، فإن ترقت همته فوق ذلك كان همه في الرياسة والانتصار للنفس الغضبية، فإن ارتفعت هِمَّتُهُ عن نصرة النفس الكلْبية: كان هَمُّه في نُصرةِ النفس السبعية.

وأما النفسُ الملَكية فلم يُعطَها أحد من هؤلاء.

فإن النفوس كَلْبية وسبعية وملَكية:

فالكلبية: تقنع بالعظام والكسرة والجيفة والعذرة.

والسبعية: لا تقنع بذلك بل بقهر النفوس، تريد الاستيلاء عليها بالحق والباطل.

وأما الملكية: فقد ارتفعت عن ذلك وشمرت إلى الرفيق الأعلى، فهمّتُها العلمُ والإيمان ومحبة الله تعالى، والإنابة إليه، وإيثار محبته ومرضاته، وإنما تأخذ من الدنيا ما تأخذ لتستعين به على الوصول إلى فاطرها وربها ووليها، لا لتنقطع به عنه.

هدي الله نورٌ

ثم ضرب سبحانه وتعالى مثلاً ثانيًا وهو المثل الناري فقال: ﴿وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاء حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِّثْلُهُ {الرعد/17}﴾ وهو الحديد والنحاس والفضة والذهب وغيرها، فإنها تدخل الكير لتمحص وتخلص من الخبث، فيخرج خبثها فيرمى به ويطرح، ويبقى خالصها فهو الذي

ينفع الناس.

ولما ضرب الله سبحانه وتعالى هذين المثلين ذكر حكم من استجاب له ورفع بهداه رأسًا، وحكم من لم يستجب له ولم يرفع بهداه رأسًا، فقال: ﴿الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلاَ يَنقُضُونَ الْمِيثَاقَ {الرعد/20}﴾ والمقصود أن الله تعالى جعل الحياة حيث النور، والموت حيث الظلمة، فحياة الوجودَين الروحي والجسمي بالنور، وهو مادة الحياة كما أنه مادة الإضاءة، فلا حياة بدونه كما لا إضاءة بدونه، وكما به حياة القلب فبه انفساحه وانشراحه وسعته، كما في الترمذي عن النبي ﷺ: ﴿**إذا دخل النور القلب انفسح وانشرح**﴾ قالوا: وما علامة ذلك؟ قال ﷺ: ﴿**الإنابة إلى دار الخلود، والتجافي عن دار الغرور، والاستعداد للموت قبل نزوله**﴾.

ونور العبد هو الذي يُصعِدُ عمله وكلمه إلى الله تعالى، فإن

الله تعالى لا يصعد إليه من الكلم إلاّ الطيب، وهو نور ومصدر عن النور، ولا من العمل إلاّ الصالح ولا من الأرواح إلاّ الطيبة وهي أرواح المؤمنين التي استنارت بالنور، الذي أنزله على رسوله ﷺ والملائكة الذين خلقوا من نور، كما في صحيح مسلم عن عائشة رضي الله عنها وعن النبي ﷺ قال: ﴿**خُلقت الملائكة من نور، وخُلقت الشياطين من نار، وخُلق آدم ممّا وصف لكم**﴾ فلما كانت مادة الملائكة من نور كانوا هم الذين يعرجون إلى ربهم تبارك وتعالى، وكذلك أرواح المؤمنين هي تعرج إلى ربها وقت قبض الملائكة لها، فيفتح لها باب السماء الدنيا، ثم الثانية، ثم الثالثة، ثم الرابعة إلى أن ينتهي بها إلى السماء السابعة، فتُوقفُ بين يدي الله عزّ وجلّ، ثم يأمر أن يُكتب كتابه في أهل عِلِّيِّن، فلما كانت هذه الروح روحًا زاكية طيبة نيرة مشرقة صعدت إلى الله عزّ وجلّ مع الملائكة. وأما الروح المظلمة الخبيثة الكدرة فإنها لا تفتح لها أبواب السماء، ولا تصعد إلى الله تعالى، بل تُرَدُّ من السماء الدنيا إلى عالمها

ومحتدها، لأنها أرضية سفلية، والأولى علوية سمائية، فرجعت كل روح إلى عنصرها وما هي منه، وهذا مبين في حديث البراء بن عازب الطويل الذي رواه الإمام أحمد وأبو عوانة الإسفرائيني في صحيحه والحاكم وغيرهم، وهو حديث صحيح.

والمقصود: أن الله عزّ وجلّ لا يصعد إليه من الأعمال والأقوال والأرواح إلاّ ما كان منها نورًا، وأعظمُ الخلق نورًا أقربهم إليه وأكرمهم عليه.

وفي المسند من حديث عبد الله بن عمرو عن النبي ﷺ: ﴿أن الله تعالى خلق خلقَه في ظلمة، وألقى عليهم من نوره، فمن أصاب من ذلك النور اهتدى، ومن أخطأه ضل، فلذلك أقول: جفَّ القلم على علم الله تعالى﴾ وهذا الحديث العظيم أصل من أصول الإيمان، وينفتح به باب عظيم من أبواب سر القدر وحكمته، والله تعالى الموفق.

وهذا النور الذي ألقاه عليهم سبحانه وتعالى هو الذي أحياهم وهداهم، فأصابت الفطرة منه حظها، ولكن لما لم يستقل بتمامه وكماله أكملَه وأتمَّه بالروح الذي ألقاه على رسله عليهم الصلاة والسلام.

والنور الذي أوحاه إليهم فأدركته الفطرة بذلك النور السابق الذي حصل لها يوم إلقاء النور، فانضاف نور الوحي والنبوة إلى نور الفطرة، نور على نور، فأشرقت منه القلوب، واستنارت به الوجوه، وحييت به الأرواح، وأذعنت به الجوارح للطاعات طوعًا واختبارًا، فازدادت به القلوب حياةً إلى حياتها.

ثم دلَّها ذلك النورُ على نور آخر، هو أعظمُ منه وأجلُّ، وهو نورُ الصفات العليا الذي يضمحل فيه كل نور سواه، فشاهدته ببصائر الإيمان مشاهدة نسبتُها إلى القلب كنسبة المرئيات إلى العين، ذلك لاستيلاء اليقين عليها، وانكشاف

حقائق الإيمان لها، حتى كأنها تنظر إلى عرش الرحمن تبارك وتعالى بارزًا وإلى استوائه عليه كما أخبر به سبحانه وتعالى في كتابه، وكما أخبر به عنه رسولهﷺ: يدبر أمر المالك ويأمر وينهى، ويخلق ويرزق، ويميت ويحيي، ويقضي وينفذ ويعز ويذل، ويقلب الليل والنهار، ويداول الأيام بين الناس، ويقلب الدول فيذهب بدولة ويأتي بأخرى، والرسل من الملائكة عليهم الصلاة والسلام بين صاعد إليه بالأمر ونازل من عنده به، وأوامره ومراسيمه متعاقبة على تعاقب الأوقات، نافذة بحسب إرادته، فما شاء كان كما شاء في الوقت الذي يشاء على الوجه الذي يشاء، من غير زيادة ولا نقصان ولا تقدم ولا تأخر، وأمره وسلطانه نافذ في السموات وأقطارها، وفي الأرض وما عليها وما تحتها وفي البحار والجو، وفي سائر أجزاء العالم وذراته، يقلبها ويصرفها ويحدث فيها ما يشاء، وقد أحاط بكل شيء علمًا، وأحصى كل شيء عددًا، ووسع كل شيء رحمة وحكمة، ووسع الأصوات فلا تختلف عليه ولا

تشتبه عليه، بل يسمع ضجيجها باختلاف لغاتها على كثرة حاجاتها، لا يشغله سمع عن سمع، ولا تغلطه كثرة المسائل، ولا يتبرم بإلحاح ذوي الحاجات.

وأحاط بصره المرئيات فيرى دبيب النملة السوداء على الصخرة الصمَّاء في الليلة الظلماء، فالغيب عنده شهادة، والسر عنده علانية، يعلم السر وأخفى من السر، فالسر ما انطوى عليه ضمير العبد وخطر بقلبه ولم تتحرك به شفتاه، وأخفى منه ما لم يخطر بعدُ، فيعلم أنه سيخطر بقلبه كذا وكذا في وقت كذا وكذا، له الخلق والأمر، وله الملك والحمد، وله الدنيا والآخرة، وله النعمة وله الفضل، وله الثناء الحسن، له الملك كله وله الحمد كله وبيده الخير كله، وإليه يرجه الأمر كله، شملت قدرته كل شيء، ووسعت رحمته كل شيء، ووسعت نعمته إلى كل حي. ﴿يَسْأَلُهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ {الرحمن/29}﴾ يغفر ذنبًا، ويفرج

همًا، ويكشف كربًا، ويجبر كسرًا، ويغني فقيرًا، ويعلم جاهلاً، ويهدي ضالاً، ويرشد حيران، ويغيث لهفان، ويفك عانيًا، ويشبع جائعًا، ويكسو عاريًا، ويشفي مريضًا، ويعافي مُبْتَلَىً، ويقبل تائبًا، ويخزي محسنًا، وينصر مظلومًا، ويقصم جبارًا، ويقيل عثرة، ويستر عورة، ويؤمِّن من روعةٍ، ويرفع أقوامًا ويضع آخرين، لا ينام ولا ينبغي له أن ينام، يخفض القسط ويرفعه، يرفع إليه عمل الليل قبل النهار وعمل النهار قبل الليل حجابه النور: لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خَلْقه، يمينُه ملآى لا تغيضها نفقة، سحَّاء الليل والنهار. أرأيتم ما أنفق منذ خلق الخلق فإنه لم يُغِضْ ما في يمينه؟!

قلوب العباد ونواصيهم بيده، وأزِمَّة الأمور معقودة بقضائه وقدره، الأرض جميعًا قبضتُه يوم القيامة، والسموات مطويات بيمينه، يقبض سمواته كلها بيده الكريمة، والأرضَ باليد الأخرى، ثم يهزهن، ثم يقول: أنا الملِك، أنا الملِك، أنا الذي

بدأت الدنيا ولم تكن شيئًا، وأنا الذي أعيدها كما بدأتها. لا يتعاظمه ذنب أن يغفره، ولا حاجةٌ يُسْأَلُها أن يعطيها، لو أن أهل سمواته وأهل أرضه وأول خلقه وآخرهم وإنسهم وجِنَّهم كانوا على أتقى قلب رجل منهم: ما زاد ذلك في ملكه شيئًا، ولو أن أول خلقه وأخرهم وإنسهم وجنهم كانوا على أفجر قلب رجل منهم: ما نقص ذلك من ملكه شيئًا، ولو أن أهل سمواته وأهل أرضه وإنسهم وجِنّهم وحيَّهم وميتهم ورطبهم ويابسهم: قاموا في صعيد واحد فسألوه فأعطى كلاً منهم ما سأله ما نقص ذلك ممّا عنده مثقال ذرة، ولو أن أشجار الأرض كلها —من حين وجدت إلى أن تنقضي الدنيا– أقلام، والبحر– وراءه سبعة أبحر تمده من بعده– مداد، فكتب بتلك الأقلام وذلك المداد لفنيت الأقلام ونفذ المداد ولم تنفذ كلمات الخالق تبارك وتعالى، وكيف تفي كلماته جلَّ جلالهُ وهي لا بداية لها ولا نهاية؟ والمخلوق له بداية ونهاية، فهو أحق بالفناء والنفاد، وكيف يفنى المخلوقُ غيرَ المخلوق؟

هو الأول الذي ليس قبله شيء، والآخر الذي ليس بعده شيء، والظاهر الذي ليس دونه شيء، والباطن الذي ليس دونه شيء، تبارك وتعالى، أحقُّ من ذُكِر، وأحق من عُبد، وأحق من حمد، وأولى من شُكِر، وأنصر من ابتُغي، وأرأف من ملك، وأجود من سئل، وأعفى من قدر، وأكرم من قصد، وأعدل من انتقم. حلمه بعد علمه، وعفوه بعد قدرته، ومغفرته عن عزته، ومنعه عن حكمته، وموالاته عن إحسانه ورحمته.

ما للعبادِ عليه حقٌ واجبٌ ۞ كلاّ ولا سعيٌ لديه ضائعُ
إنَّ عُذِبُوا فبِعَدلِه، أو نُعِّموا ۞ فَبِفضلِه، وهو الكريم الواسعُ

وهو الملك لا شريك له، والفرد فلا ندّ له، والغني فلا ظهير له، والصمد فلا ولد له ولا صاحبة، والعالي فلا شبيه له ولا سَميّ له، كل شيء هالك إلاّ وجهه، وكل مُلك زائل إلاّ ملكه، وكل ظل قالص إلاّ ظله، وكل فضل منقطع إلاّ فضله، لن يطاع إلاّ بإذنه ورحمته، ولن يعصى إلاّ بعلمه وحكمته، يطاع فيشكر، ويُعصى فيتجاوز ويغفر، كل نقمة منه عدل، وكل نعمة منه فضل، أقرب شهيد، وأدنى حفيظ، حال دون

النفوس، وأخذ بالنواصي، وسجّل الآثار، وكتب الآجال، فالقلوب له مفضية، والسر عنده علانية، والغيب عنده شهادة، عطاؤه كلام وعذابه كلام: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ {يس/82}﴾.

فإذا أشرقت على القلب أنوارُ هذه الصفات اضمحلَّ عندها كل نور، ووراء هذا ما لا يخطر بالبال ولا تناله عبارة.

والمقصود: أن الذكر ينَوّر القلب والوجه والأعضاء، وهو نور العبد في دنياه وفي البرزخ وفي القيامة.

صلاح الأعمال والأقوال ثمرة لنور الإيمان

وعلى حسب نور الإيمان في قلب العبد تخرج أعماله وأقواله ولها نور وبرهان، حتى أن [مِنَ المؤمنين] مَن يكون نور أعماله إذا صعدت إلى الله تبارك وتعالى كنور الشمس، وهكذا نور روحه إذا قدم بها على الله عزّ وجلّ، وهذا يكون نور وجهه في القيامة، والله تعالى المستعان وعليه الاتّكال.

السابعة والثلاثون: أن الذكر رأس الأصول، وطريق عامة الطائفة، ومنشور الولاية، فمن فتح له فيه فقد فتح له باب الدخول على الله عزّ وجلّ، فليتطهر وليدخل على ربه عزّ وجلّ يجد عنده كل ما يريد، فإن وجد ربه عزّ وجلّ وجد كل شيء، وإن فاته ربُّه عزّ وجلّ فاته كل شيء.

الثامنة والثلاثون: أنّ في القلب خلة وفاقةً لا يسدها شيء أَلْبَتَّةَ إلاّ ذكر الله عزّ وجلّ، فإذا صار الذِكرُ شعار القلب بحيث يكون هو الذاكر بطريق الأصالة واللسان تبع له فهذا هو الذكر الذي يسد الخلة ويفني الفاقةَ، فيكون صاحبه غنيًا بلا مال، عزيزًا بلا عشيرة، مهيبًا بلا سلطان. فإذا كان غافلاً عن ذكر الله عزّ وجلّ فهو بضد ذلك: فقير مع كثيرة جِدَتِه، ذليل مع سلطانه، حقير مع كثرة عشيرته.

التاسعة والثلاثون: أن الذكر يجمع المتفرق ويفرق

المجتمع، ويقرب البعيد ويبعد القريب، فيجمع ما تفرق على العبد من قلبه وإرادته وهمومه وعزومه، والعذاب كل العذاب في تفرقتها وتشتتها عليه وانفراطها له، والحياة والنعيم في اجتماع قلبه وهمه وعزمه وإرادته، ويفرق ما اجتمع عليه من الهموم والغموم والأحزان والحسرات على فوت حظوظه ومطالبه، ويفرق أيضًا ما اجتمع عليه من ذنوبه وخطاياه وأوزاره حتى تتساقط عنه وتتلاشى وتضمحل، ويفرق أيضًا ما اجتمع على حربه من جند الشيطان، فإن إبليس لا يزال يبعث له سرية، وكلما كان أقوى طلبًا لله سبحانه وتعالى وأمثل تعلقًا به وإرادة له كانت السرية أكثف وأكثر وأعظم شوكة بحسب ما عند العبد من مواد الخير والإرادة، ولا سبيل إلى تفريق هذا الجمع إلاّ بدوام الذكر.

وأما تقريبه البعيد: فإنه يقرب إليه الآخرة التي يبعدها منه الشيطان والأمل، فلا يزال يلهج بالذكر حتى كأنه قد دخلها وحضرها، فحينئذٍ تصغر في عينه الدنيا وتعظم في قلبه

الآخرة، ويبعد القريب إليه وهي الدنيا التي هي أدنى إليه من الآخرة، فإن الآخرة متى قربت من قلبه بعدت منه الدنيا، كلما قربت منه هذه مرحلة بعدت منه هذه مرحلة، ولا سبيل إلى هذا إلاّ بدوام الذكر.

الأربعون: أن الذكر ينبه القلب من نومه، ويوقظه من سَنَتِه، والقلب إذا كان نائمًا فاتته الأرباح والمتاجر، وكان الغالب عليه الخسران، فإذا استيقظ وعلم ما فاته في نومه شد المئزر وأحيا بقية عمره واستدرك ما فاته، ولا تحصل يقظته إلاّ بالذكر، فإن الغفلة نوم ثقيل.

الحادي والأربعون: أن الذكر شجرة تثمر المعارف والأحوال التي شمر إليها السالكون، فلا سبيل إلى نيل ثمارها إلاّ من شجرة الذكر، وكلما عظمت تلك الشجرة ورسخ أصلها كان أعظم لثمرتها، فالذكر يثمر المقامات كلها من اليقظة إلى التوحيد، وهو أصل كل مقام وقاعدته التي يَنبني ذلك المقام

عليها، كما يُبنى الحائط على أُسِّهِ وكما يقوم السقف على حائطه، وذلك أن العبد إن لم يستيقظ لم يمكنه قطع منازل السير، ولا يستيقظ إلاّ بالذكر كما تقدم، فالغفلة نوم القلب أو موته.

الثانية والأربعون: أن الذاكر قريب من مذكوره، ومذكوره معه، وهذه المعية معية خاصة غير معية العلم والإحاطة العامة، فهي معية بالقرب والولاية والمحبة والنصرة والتوفيق، كقوله تعالى:

﴿إِنَّ اللّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَواْ وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ {النحل/128}﴾

﴿وَاللّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ {البقرة/249}﴾

﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ {العنكبوت/69}﴾

﴿لاَ تَحْزَنْ إِنَّ اللّهَ مَعَنَا {التوبة/40}﴾.

وللذاكر من هذه المعية نصيب وافر كما في الحديث الإلهي: ﴿**أنا مع عبدي ما ذكرني وتحركت بي شفتاه**﴾ وفي أثر آخر: ﴿**أهل ذِكري أهل مجالستي، وأهل شكري أهل زيارتي، وأهل طاعتي أهل كرامتي، وأهل معصيتي لا أقنطهم من رحمتي: إن تابوا فأنا حبيبهم، فإني أحب التوابين وأحب المتطهرين، وإن لم يتوبوا فأنا طبيبهم أبتليهم بالمصائب، لأطهرهم من المعائب**﴾. والمعية الحاصلة للذاكر معية لا يشبهها شيء، هي أخص من المعية الحاصلة للمحسن والمتقي، وهي معية لا تدركها العبارة ولا تنالها الصفة وإنما تعلم بالذوق، وهي مزلة أقدام إن لم يصحب العبدَ فيها تمييزٌ بين القديم والمحدث، بين الرب والعبد، بين الخالق والمخلوق، بين العابد والمعبود، وإلا وقع في حلول يضاهي به النصارى، أو اتّحاد يضاهي به القائلين بوحدة الوجود، وأن وجود الرب عين وجود هذه

الوجودات، بل ليس عندهم رب وعبد، ولا خلق وحق، بل الرب هو العبد والعبد هو الرب والخلق المشبَّهُ هو الحق المنزَّهُ، تعالى الله عما يقول الظالمون والجاحدون علوًا كبيرًا.

والمقصود: أنه إن لم يكن مع العبد عقيدة صحيحة وإلا فإذا استولى عليه سلطان الذكر وغاب بمذكوره عن ذكره وعن نفسه ولج باب الحلول والاتحاد ولا بد.

الثالثة والأربعون: أن الذكر يعدل عتق الرقاب، ونفقة الأموال، والحمل على الخيل في سبيل الله عزّ وجلّ، ويعدل الضرب بالسيف في سبيل الله عزّ وجلّ، وقد تقدم أن ﷺ**مَن قال في يوم مائة مرة لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، كانت له عدل عشر رقاب، وكتبت له مائة حسنة، ومحيت عنه مائة سيئة، وكانت له حرزًا من الشيطان يومه حتى يمسي**ﷺ. الحديث.

وذكر ابن أبي الدنيا: عن الأعمش عن سالم بن أبي الجعد قال: قيل لأبي الدرداء: «إن رجلاً أعتق مائة نسمة؟ قال: إن مائة نسمة من مالِ رجلٍ كثيرٌ، وأفضل من ذلك، وأفضل إيمان ملزوم بالليل والنهار: أن لا يزال لسان أحدكم رطبًا من ذكر الله عزّ وجلّ». وقال ابن مسعود رضي الله عنه: لأن أسبّح الله تعالى تسبيحات أحبّ إليَّ من أن أنفق عددهن دنانير في سبيل الله عزّ وجلّ. وجلس عبد الله بن عمرو وعبد الله بن مسعود رضي الله عنهم، فقال عبد الله: «سبحان الله والحمد لله، ولا إله إلاّ الله، والله أكبر» أحبّ إليَّ من أنفق عددهنّ دنانير في سبيل الله عزّ وجلّ. فقال عبد الله بن عمرو: لأن آخذ في طريق فأقولهن أحب إليّ من أن أحمل عددهن على الخيل في سبيل الله عزّ وجلّ. وقد تقدم حديث أبي الدرداء قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **﴿ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم وأرفعها في درجاتكم وخير لكم من إنفاق الورق والذهب وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم**

ويضربوا أعناقكم؟ قالوا: بلى يا رسول الله. قال ﷺ: «**اذكروا الله**» رواه ابن ماجه والترمذي، وقال الحاكم: صحيح الإسناد.

الرابعة والأربعون: أن الذكر رأس الشكر، فما شكر الله تعالى من لم يذكره. وذكر البيهقي عن زيد بن أسلم أن موسى عليه السلام قال: «ربِّ قد أنعمت علَيَ كثيرًا، فدلّني على أن أشكرك كثيرًا. قال: اذكرني كثيرًا، فإذا ذكرتني كثيرًا فقد شكرتني كثيرًا، وإذا نسيتني فقد كفرتني». وقد ذكر البيهقي أيضًا في «شعب الإيمان» عن عبد الله بن سلام قال: قال موسى عليه السلام: «يا ربِّ، ما الشكر الذي ينبغي لك؟ فأوحى الله تعالى إليه: أن لا يزال لسانك رطبًا من ذكري. قال: يا ربِّ إني أكون على حال أجلّك أن أذكرك فيها؟ قال: وما هي؟ قال: أكون جنبًا أو على الغائط أو إذا بلت؟ فقال: وإن كان. قال: يا ربِّ فما أقول؟ قال تقول سبحانك وبحمدك

وجنّبني الأذى، وسبحانك وبحمدك فقني الأذى» قلت: قالت عائشة رضي الله عنها: «كان رسول الله ﷺ يذكر الله تعالى على كل أحيانه». ولم تستثن حالة من حاله، وهذا يدل على أنه كان يذكر ربه تعالى في حال طهارته وجنابته، وأما في حال التخلي فلم يكن يشاهده أحد يحكي عنه، ولكن شرع لأمته من الأذكار قبل التخلي وبعده ما يدل على مزيد الاعتناء بالذكر، وأنه لا يخلُّ به عند قضاء الحاجة وبعدها. وكذلك شرع للأمة من الذكر عند الجماع أن يقول أحدهم: «**بسم الله، اللّهمّ جنّبْنا الشيطان وجنّب الشيطان ما رزقتنا**». وأما عند نفس قضاء الحاجة وجماع الأهل فلا ريب أنه لا يكره بالقلب لأنه لا بد لقلبه من ذكر، ولا يمكنه صرف قلبه عن ذكر من هو أحب شيء إليه، فلو كلف القلب نسيانه لكان تكليفه بالمحال، كما قال القائل:

يراد من القلب نِسيانُكُم ۞ وتَأْبَى الطّباعُ على الناقل

فأمّا الذكر باللّسان على هذه الحالة فليس ممّا شرع لنا، ولا

نـدبنا إليـه رسـول اللهﷺ، ولا نقـل عـن أحـد مـن الصحابة رضي الله عنهم .

وقال عبد الله بن أبي الهذيل: إن الله تعالى ليحب أن يذكر في السوق، ويحب أن يذكر على كل حال، إلاّ على الخلاء.

ويكفي في هذه الحال استشعار الحياء والمراقبة والنعمة عليه في هذه الحالة، وهي من أجلِّ الذكر، فذكر كل حال بحسب ما يليق بها، واللائق بهذه الحال التقنّع بثوب الحياء من الله تعالى وإجلاله، وذكر نعمته عليه وإحسانه إليه في إخراج هذا العدو المؤذي له الذي لو بقي فيه لقتله، فالنعمة في تيسير خروجه كالنعمة في التغذي به.

وكان علي بن أبي طالب إذا خرج من الخلاء مسح بطنه وقال: يا لها نعمة، لو يعلم الناس قدرها؟! وكان بعض السلف يقول: الحمد لله الذي أذاقني لذّته، وأبقى فيَّ منفعته،

وأذهب عني مضرته. وكذلك ذِكرُه حال الجماع: ذكر هذه النعمة التي منَّ بها عليه، وهي أجل نعم الدنيا، فإذا ذكر نعمة الله تعالى عليه بها هاج من قلبه هائج الشكر، فالذكر رأس الشكر. وقال النبي ﷺ لمعاذ: ﴿**والله يا معاذ إني لأحبك، فلا تنس أن تقول دبر كل صلاة: اللّهمّ أعنّي على ذِكرِك وشكرك وحسن عبادتك**﴾ فجمع بين الذكر والشكر كما جمع سبحانه وتعالى بينهما في قوله تعالى ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُواْ لِي وَلاَ تَكْفُرُونِ {البقرة/152}﴾ فالذكر والشكر جماع السعادة والفلاح.

الخامسة والأربعون: أن أكرم الخلق على الله تعالى من المتقين من لا يزال لسانه رطبًا بذكره، فإنه اتَّقاه في أمره ونهيه وجعل ذكره شعاره. فالتقوى أوجبت له دخول الجنة والنجاة من النار، وهذا هو الثواب والأجر، والذكر يوجب له القرب من الله عزّ وجلّ والزلفى لديه، وهذه هي المنزلة.

وعمال الآخرة على قسمين: منهم من يعمل على الأجر والثواب، ومنهم من يعمل على المنزلة والدرجة، فهو ينافس غيره في الوسيلة والمنزلة عند الله تعالى ويسابق إلى القرب منه، وقد ذكر الله تعالى النوعين في سورة الحديد في قول الله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُصَّدِّقِينَ وَالْمُصَّدِّقَاتِ وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ {الحديد/18}﴾ فهؤلاء أصحاب الأجور والثواب، ثم قال: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُوْلَئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ{الحديد/19}﴾ فهؤلاء أصحاب المنزلة والقرب، ثم قال: ﴿وَالشُّهَدَاء عِندَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ{الحديد/19}﴾ فقيل: هذا عطف على الخبر من ﴿وَالَّذِينَ آمَنُواْ بِاللّهِ وَرُسُلِهِ {النساء/152}﴾ أخبر عنهم بأنهم هم الصّديقون وأنهم الشهداء الذين يشهدون على الأمم، ثم أَخبر عنهم أن لهم أجرًا، وهو قوله تعالى: ﴿لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ{الحديد/19}﴾ فيكون قد أخبر عنهم بأربعة أمور: أنهم صديقون، وشهداء: فهذه هي المرتبة

والمنزلة. قيل: تم الكلام عند قوله تعالى: ﴿الصِّدِّيقُونَ﴾ ثم بعد ذلك حال الشهداء فقال: ﴿وَالشُّهَدَاء عِندَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ{الحديد/19}﴾ فيكون قد ذكر المتصدقين أهلَ البر والإحسان، ثم المؤمنين الذين قد رسخ الإيمان في قلوبهم وامتلؤوا منه، فهم الصِّديقون وهم أهل العلم والعمل، والأولون أهل البر والإحسان، ولكن هؤلاء أكمل صديقية منهم.

ثم ذكر الشهداء وأنه تعالى يجري عليهم رزقهم ونورهم، لأنهم لما بذلوا أنفسهم لله تعالى أثابهم الله تعالى عليها أن جعلهم أحياء عنده يرزقون فيجري عليهم رزقهم ونورهم فهؤلاء السعداء.

ثم ذكر الأشقياء فقال: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ {المائدة/10}﴾ والمقصود: أنه سبحانه وتعالى ذكر أصحاب الأجور والمراتب، وهذان الأمران هما اللذان وعدهما فرعون السحرة إن غلبوا موسى عليه الصلاة والسلام

فقالوا: ﴿فَلَمَّا جَاء السَّحَرَةُ قَالُوا لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ {الشعراء/41} قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذًا لَّمِنَ الْمُقَرَّبِينَ {الشعراء/42}﴾ أي أجمع لكم بين الأجر والمنزلة عندي والقرب مني. فالعمال عملوا على الأجور، والعارفون عملوا على المراتب والمنزلة والزلفى عند الله، وأعمال هؤلاء القلبية أكثر من أعمال أولئك، وأعمال أولئك البدنية قد تكون أكثر من أعمال هؤلاء.

وذكر البيهقي عن محمد بن كعب القرظي رحمه الله تعالى قال: قال موسى عليه السلام: «يا ربّ، أي خلقك أكرم عليك؟ قال: **الذي لا يزال لسانه رطبًا بذكري**».

قال يا ربّ، فأيّ خلقك أعلَم؟ قال: الذي يلتمس إلى علمه علم غيره. قال: يا ربّ، أيّ خلقك أعدَل؟ قال: الذي يقضي على نفسه كما يقضي على الناس. قال: يا رب، أي خلقك أعظَم ذنبًا؟ قال: الذي يتهمني. قال: يا رب، وهل يتهمك

أحد؟ قال: الذي يَسْتَخِيرُني ولا يرضى بقضائي. وذكر أيضًا عن ابن عباس، رضي الله عنهما، قال: لَمّا وفد موسى عليه السلام إلى طور سيناء قال: يا ربّ، أي عبادك أحَب إليك؟ قال: الذي **يذكرني ولا ينساني**. وقال كعب: قال موسى عليه السلام: يا رب، أقريب أنت فأُنَاجيك، أم بعيد فأُناديك؟ فقال تعالى: يا موسى، **أنا جليس من ذكرني**. قال: إني أكون على حال أَجِلُّك عنها. قال: ما هي يا موسى؟ قال: عند الغائط والجنابة؟ قال: **اذكُرني على كلّ حال**. وقال عبيد بن عمير **تسبيحة بحمد الله في صحيفة مؤمن خير له من جبال الدنيا تجري معه ذهبًا**. وقال الحسن: إذا كان يوم القيامة ناد: مناد: سيعلم أهل الجمع من أَوْلَى بالكرم؟ أين الذين كانت: ﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ {السجدة/16﴾ قال: فيقومون فيتخطَّون رقاب الناس. قال ثم ينادي مناد: سيعلم أهل

الجمع من أولى بالكرم، أين الذين كانت ﴿لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ {النور/37}﴾ قال: فيقومون فيتخطون من رقاب الناس، قال ثم ينادي مناد: وسيعلم أهل الجمع من أولى بالكرم؟ أين الحمادون لله على كل حال؟ قال: فيقومون وهم كثير. ثم تكون التَّبِعةُ والحساب فيمن بقي.

وأتى رجل أبا مسلمٍ الخولاني، فقال له: أوصني يا أبا مسلم؟ قال: اذكر الله تعالى تحت كل شجرة ومدرة. فقال: زدني. فقال: اذكر الله تعالى حتى يحسبك الناس من ذكر الله تعالى مجنونًا. قال وكان أبو مسلم يكثر ذكر الله تعالى، فرآه رجل وهو يذكر الله تعالى فقال: أمجنون صاحبكم هذا؟ فسمعه أبو مسلم، فقال: ليس هذا بالمجنون يا ابن أخي، ولكن هذا دواءُ الجنون.

السادسة والأربعون: أن في القلب قسوة لا يذيبها إلاّ ذكر الله تعالى، فينبغي للعبد أن يداوي قسوة قلبه بذكر الله تعالى.

وذكر حماد بن زيد عن المعلى بن زياد أن رجلاً قال للحسن: يا أبا سعيد، أشكو إليك قسوة قلب؟ قال: أَذِبْهُ بالذكر. وهذا لأن القلب كلما اشتدت به الغفلة اشتدت به القسوة، فإذا ذكر الله تعالى ذابت تلك القسوة كما يذوب الرصاص في النار. فما أذيبت قسوة القلوب بمثل ذكر الله عزّ وجلّ.

السابعة والأربعون: أن الذكر شفاء القلب ودواؤه، والغفلة مرضه، فالقلوب مريضة وشفاؤها ودواؤها في ذكر الله تعالى. قال مكحول: ذكر الله تعالى شفاء، وذكر الناس داء. وذكر البيهقي عن مكحول مرفوعًا ومرسلاً: فإذا ذكرته شفاها وعافاها، فإذا غفلت انتكست، كما قيل:

إذا مرضنا تَدَاوَيْنَا بذكرِكُم ۞ فنَترُكُ الذّكر أحيانًا فَنَنْتَكِسُ

الثامنة والأربعون: أن الذكر أصل موالاة الله عزّ وجلّ ورأسها، والغفلة أصل معاداته ورأسها، فإن العبد لا يزال يذكر ربه عزّ وجلّ حتى يحبه فيواليه، ولا يزال يغفل عنه

حتى يبغضه فيعاديه. وقال الأوزاعي: قال حسان بن عطية: ما عادى عبد ربَّه بشيء أشد عليه من أن يكره ذكره أو من يذكره. فهذه المعادلة سببها الغفلة، ولا تزال بالعبد حتى يكره ذكر الله ويكره مَن ذكره، فحينئذٍ يتخذه عدوًا كما اتخذه الذاكر وليًا.

التاسعة والأربعون: أنه ما استجلبت نِعمُ الله عزّ وجلّ واستدفعت نقمة بمثل ذكر الله تعالى. فالذكر جلابٌ للنعم، دافعٌ للنقم، قال سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا {الحج/38}﴾ وفي القراءة الأخرى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَدْفَعُ﴾ فدفعُه ودفاعه عنهم بحسب قوة إيمانهم وكماله. ومادة الإيمان وقوته بذكر الله تعالى، فمن كان أكمل إيمانًا وأكثر ذكرًا كان دفع الله تعالى عنه ودفاعه أعظم، ومن نقص نقص ذكرًا بذكر ونسيانًا بنسيان. وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ {إبراهيم/7}﴾ والذكر رأس الشكر كما تقدم،

والشكر جلاب النعم وموجب للمزيد. قال بعض السلف رحمة الله عليهم: ما أقبح الغفلة عن ذكر من لا يغفل عن ذكرك!.

الخمسون: أن الذكر يوجب صلاة الله عزّ وجلّ وملائكته على الذاكر، ومن صلى الله تعالى عليه وملائكته فقد أفلح كل الفلاح وفاز كل الفوز، قال سبحانه وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا {الأحزاب/41} وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا {الأحزاب/42} هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا {الأحزاب/43}﴾ فهذه الصلاة منه تبارك وتعالى ومن ملائكته إنما هي سبب الإخراج لهم من الظلمات إلى النور، وإذا حصلت لهم الصلاة من الله تبارك وتعالى وملائكته أخرجهم من الظلمات إلى النور، فأي خير لم يحصل لهم؟ وأي شر يندفع عنهم؟ فيا حسرة الغافلين عن ربهم ماذا حُرِموا من خيره وفضله؟! وبالله التوفيق.

الحادية والخمسون: أن من شاء أن يسكن رياض الجنة في الدنيا فليستوطنْ مجالسَ الذكر فإنها رياضُ الجنة، وقد ذكر ابن أبي الدنيا وغيره من حديث جابر بن عبد الله قال: خرج علينا رسول الله ﷺ فقال: ﴿**يا أيها الناس، ارتعوا في رياض الجنة**﴾ قلنا: يا رسول الله وما رياض الجنة؟ قال: ﴿**مجالس الذكر**﴾ ثم قال: ﴿**اغدوا وروحوا واذكروا، فمن كان يحب أن يعلم منزلته عند الله تعالى فلينظر كيف منزلة الله تعالى عنده، فإن الله تعالى ينزل العبدَ منه حيث أنزله من نفسه**﴾.

الثانية والخمسون: أن مجالس الذكر مجالس الملائكة، فليس من مجالس الدنيا لهم مجلس إلاّ مجلس يذكر الله تعالى فيه، كما أخرجا في الصحيحين: من حديث الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة قال رسول الله ﷺ: ﴿**إن لله تعالى ملائكة فُضُلاً عن كتاب الناس، يطوفون في الطريق يلتمسون**

أهل الذكر، فإذا وجدوا قومًا يذكرون الله تعالى تنادَوا: هلموا إلى حاجتكم. قال: فيحفونهم بأجنحتهم إلى السماء الدنيا، قال: فيسألهم ربهم تعالى -وهو أعلم بهم-: ما يقول عبادي؟ قال: يقولون: يسبحونك ويكبرونك ويحمدونك. قال: فيقول: هل رأوني؟ قال: فيقولون: لا والله ما رأوك، قال فيقول: كيف لو رأوني؟ قال: فيقولون: لو رأوك كانوا أشد بك عبادة وأشد لك تحميدًا وتمجيدًا، وأكثر لك تسبيحًا. قال فيقول: ما يسألوني؟ قال يقولون: يسألونك الجنة. قال: يقول: وهل رأوها؟ قال يقولون: لا والله يا رب، ما رأوها. قال: يقول: فكيف لو أنهم رأوها؟ قال: يقولون: لو أنهم رأوها كانوا أشد عليها حرصًا وأشد لها طلبًا، وأعظم فيها رغبة. فيقول: فَمِمَّ يتعوذون؟ قال: يقولون: من النار. قال يقول: وهل رأوها؟ قال: يقولون: لا والله يا رب، ما رأوها. قال: يقول: فكيف لو رأوها؟ قال:

يقولون: لو رأوها كانوا أشد منها فرارًا، وأشد لها مخافة. قال: يقول: فأشهدكم أني قد غفرت لهم، فيقول ملك من الملائكة: فيهم فلان ليس منهم، وإنما جاء لحاجة؟ قال: هم الجلساء لا يشقى بهم جليسهم﴾ فهذا من بركتهم على نفوسهم وعلى جليسهم، فلهم نصيب من قوله: ﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ {مريم/31}﴾ فهكذا المؤمن مبارك أين حلَّ، والفاجر مشؤوم أين حلَّ. فمجالس الذكر مجالس الملائكة، ومجالس الغفلة مجالس الشياطين، كلٌّ مضاف إلى شكله وأشباهه، وكلُّ امرئٍ يصير إلى ما يناسبه.

الثالثة والخمسون: أنَّ الله عزّ وجلّ يباهي بالذاكرين ملائكته، كما روى مسلم في صحيحه عن أبي سعيد الخدري: قال: خرج معاوية على حلقة في المسجد، فقال: ما أجلسكم؟ قالوا جلسنا نذكر الله تعالى. قال: ألله ما أجلسكم إلاّ ذاك؟ قالوا: والله ما أجلسنا إلاّ ذاك. قال: أما إني لم أستحلفكم

تهمة لكم، وما كان أحدٌ بمنزلتي من رسول اللهﷺ أقلَّ عنه حديثًا مني، وإن رسول اللهﷺ خرج على حلقة من أصحابه، فقال: ﴿**ما أجلسكُم**﴾؟ قالوا: جلسنا نذكر الله تعالى ونحمده على ما هدانا للإسلام ومنّ علينا به. قال: ﴿**آللهِ ما أجلَسَكُم إلاّ ذاك**﴾؟ قالوا: والله ما أجلسنا إلاّ ذاك. قال: ﴿**أما إني لم أستحلفكم تهمة لكم، ولكنه أتاني جبريل فأخبرني أن الله تبارك وتعالى يُباهي بكم الملائكة**﴾ فهذه المباهاة من الربِّ تبارك وتعالى دليل على شرف الذكر عنده ومحبته له، وأن له مزية على غيره من الأعمال.

الرابعة والخمسون: أنّ مدمن الذكر يدخل الجنة وهو يضحك، لما ذكر ابن أبي الدنيا عن عبد الرحمن بن مهدي عن معاوية بن صالح عن عبد الرحمن بن جبير بن نفير الحضرمي عن أبيه عن أبي الدرداء قال: الذين لا تزال ألسنتهم رطبة من ذكر الله عزّ وجلّ يدخل أحدهم الجنة وهو يضحك.

الخامسة والخمسون: أنّ جميع الأعمال إنما شرعت إقامة لذكر الله تعالى، والمقصود بها تحصيل ذكر الله تعالى، قال سبحانه وتعالى: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي {طه/14}﴾ قيل: المصدر مضاف إلى الفاعل، أي: لأذكرك بها، وقيل: مضاف إلى المذكور: أي لتذكروني بها، واللام على هذا لام التعليل. وقيل: هي اللام الوقتية: أي أقم الصلاة عند ذكري كقوله: ﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ {الإسراء/78}﴾ وقوله تعالى: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ {الأنبياء/47}﴾ وهذا المعنى يراد بالآية، لكن تفسيرها به يجعل معناها فيه نظر؟ لأن هذه اللام الوقتية يليها أسماء الزمان والظروف، والذكر مصدر؟ إلاّ أن يقدّر زمانٌ محذُوف، أي: عند وقت ذكري. وهذا محتمل. والأظهر: أنها لام التعليل، أي أقم الصلاة لأجل ذكري، ويلزم من هذا أن تكون إقامتها عند ذكره، وإذا ذكر العبد ربَّه فذكرُ الله تعالى سابقٌ على ذكره، فإنه لما ذكره ألهمه ذكره،

فالمعاني الثلاثة حق. وقال سبحانه وتعالى: ﴿اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ {العنكبوت/45}﴾ فقيل: المعنى أنكم في الصلاة تذكرون الله وهو ذاكر مَنْ ذَكَرَه، ولذكر الله تعالى إياكم أكبر من ذكركم إياه. وهذا يروى عن ابن عباس وسلمان وأبي الدرداء وابن مسعود رضي الله عنهم، وذكر ابن أبي الدنيا عن فضيل بن مرزوق عن عطية: ﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ {العنكبوت/45}﴾ قال: وهو قوله تعالى: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ {البقرة/152}﴾ فذكر الله تعالى لكم أكبر من ذكركم إياه.

وقال ابن زيد وقَتادة: معناه: ولذكر الله أكبر من كل شيء. وقيل لسلمان: أي الأعمال أفضل؟ فقال: أما تقرأ القرآن: ﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ {العنكبوت/45}﴾ ويشهد لهذا حديث أبي الدرداء المتقدم: ﴿**ألا أنبئكم بخير أعمالكم، وأزكاها عند ملككم، وخير لكم من إنفاق الذهب والورق...**﴾ الحديث.

وكان شيخ الإسلام أبو العباس قدس الله روحه يقول: الصحيح أن معنى الآية: أن الصلاة فيها مقصودان عظيمان، وأحدهما أعظم من الآخر: فإنها تنهى عن الفحشاء والمنكر، وهي مشتملة على ذكر الله تعالى، ولما فيها من ذكر الله أعظم من نهيها عن الفحشاء والمنكر. وذكر ابن أبي الدنيا عن ابن عباس أنه سئل: أي العمل أفضل؟ قال: ذكر الله أكبر.

وفي السنن عن عائشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ﴿**إنما جعل الطواف بالبيت وبين الصفا والمروة ورمي الجمار لإقامة ذكر الله تعالى**﴾ رواه أبو داود والترمذي وقال: حديث حسن صحيح.

<u>السادسة والخمسون</u>: أن أفضل أهل كل عمل أكثرُهم فيه ذكرًا لله عزّ وجلّ، فأفضل الصوَّام أكثرُهم ذكرًا لله عزّ وجلّ في صومهم، وأفضل المتصدقين أكثرهم ذكرًا لله عزّ وجلّ، وأفضل الحُجَّاج أكثرهم ذكرًا لله عزّ وجلّ، وهكذا سائر الأحوال. وقد

ذكر ابن أبي الدنيا حديثًا مرسلاً في ذلك أن النبي ﷺ سئل: أي أهل المسجد خير؟ قال: ﴿**أكثرهم ذكرًا لله عزّ وجلّ**﴾ قيل: أي الجنازة خير؟ قال: ﴿**أكثرهم ذكرًا لله عزّ وجلّ**﴾ قيل: فأي المجاهدين خير؟ قال: ﴿**أكثرهم ذكرًا لله عزّ وجلّ**﴾ قيل: فأي الحجاج خير؟ قال: ﴿**أكثرهم ذكرًا لله عزّ وجلّ**﴾ قيل: وأي العباد خير؟ قال: ﴿**أكثرهم ذكرًا لله عزّ وجلّ**﴾. قال أبو بكر: ذهب الذاكرون بالخير كله. وقال عبيد بن عمير: إن أعظَمَكُم هذا الليل وأن تكابدوه، وبخلتم على المال أن تنفقوه، وجبنتم عن العدوّ أنْ تقاتلوه: فأكثروا من ذكر الله عزّ وجلّ.

السابعة والخمسون: أن إدامته تنوب عن التطوعات، وتقوم مقامها سواء كانت بدنية، أو مالية كحجّ التطوع. وقد جاء ذلك صريحاً في حديث أبي هريرة: أن فقراء المهاجرين أتوا رسول الله ﷺ فقالوا: يا رسول الله، ذهب أهل

الدثور بالدرجات العلى، والنعيم والمقيم. يصلون كما نصلِّي، ويصومون كما نصوم، ولهم فضل أموالهم يحجُّون بها ويعتمرون ويجاهدون؟ فقال: ﴿**ألا أعلمكم شيئًا تدركون به من سبقكم، وتسبقون به من بعدكم، ولا أحد يكون أفضل منكم إلاّ من صنع مثل ما صنعتم**﴾؟ قالوا: بلى يا رسول الله. قال: ﴿**تسبِّحون وتحمدون وتكبرون خلف كل صلاة...**﴾ الحديث متفق عليه. فجعل الذكر عوضًا لهم عما فاتهم من الحج والعمرة والجهاد، وأخبر أنهم يسبقونهم بهذا الذكر، فلما سمع أهل الدثور بذلك عملوا به، فازدادوا -إلى صدقاتهم وعبادتهم بمالهم- التعبد بهذا الذكر، فحازوا الفضيلتين، فنافسهم الفقراء، وأخبروا رسول الله ﷺ بأنهم قد شاركوهم في ذلك، وانفردوا عنهم بما لا قدرة لهم عليه؟ فقال ﷺ: ﴿**ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء**﴾.

وفي حديث عبد الله بن بُسْر: قال: جاء أعرابي فقال: يا

رسول الله، كثرت عليّ خِلال الإسلام وشرائعه، فأخبرني بأمر جامع يكفيني؟ قال: ﴿عليك بذكر الله تعالى﴾ قال: ويكفيني يا رسول الله؟ قال: ﴿**نعم وبفضل عنك**﴾ فدله الناصحﷺ على شيء يُعينُه على شرائع الإسلام والحرص عليها والاستكثار منها، فإنه إذا اتخذ ذكر الله تعالى شعاره أحبه وأحب ما يحب، فلا شيء أحب إليه من التقرب بشرائع الإسلام، فدلهﷺ على ما يتمكن به من شرائع الإسلام، وتسهل عليه، وهو ذكر الله عزّ وجلّ. و توضّحه:

الثامنة والخمسون: أن ذكر الله عزّ وجلّ من أكبر العون على طاعته، فإنه يحببها إلى العبد ويسهلها عليه ويلذذها له، ويجعل قرة عينه فيها، ونعمه وسروره بها. حيث لا يجد لها من الكلفة والمشقة والثقل ما يجد الغافل، والتجربة شاهدة بذلك، توضّحه:

التاسعة والخمسون: أن ذكر الله عزّ وجلّ يسهِّل

الصعب، وييسر العسير، ويخفف المشاق، فما ذكر الله عزّ وجلّ على صعب إلاّ هان، ولا على عسير إلاّ تيسر، ولا مشقة إلاّ خفّت، ولا شدة إلاّ زالت، ولا كربة إلاّ انفرجت، فذكر الله تعالى هو الفَرَجُ بعد الشدة، واليسر بعد العسر، والفرج بعد الغم والهم، يوضحه.

الستون: أن ذكر الله عزّ وجلّ يُذهب عن القلب مخاوفَهُ كله، وله تأثير عجيب في حصول الأمن، فليس للخائف الذي قد اشتد خوفه أنفع من ذكر الله عزّ وجلّ، إذا بحسب ذكره يجد الأمن ويزول خوفه، حتى كان المخاف التي يجدها أمان له، والغافل خائف مع أمنه حتى كأن ما هو فيه من الأمن كله مخاوفُ، ومن له أدنى حسٍّ قد جرَّب هذا وهذا. والله المستعان.

الحادية والستون: أن الذكر يعطي الذاكر قوة، حتى إنه ليفعل مع الذكر ما لم يظن فعله بدونه، وقد شاهدت من قوة

شيخ الإسلام ابن تيمية في مشيته وكلامه وإقدامه وكتابته أمرًا عجيبًا، فكان يكتب في اليوم من التصنيف ما يكتبه الناسخ في جمعةٍ وأكثر، وقد شاهد العسرُ من قوته في الحرب أمرًا عظيمًا.

وقد علَّم النبيﷺ لبنته فاطمة وعليًا رضي الله عنهما: ﴿**أن يسبّحا كل ليلة إذا أخذوا مضاجعهما: ثلاثًا وثلاثين، ويحمدا ثلاثًا وثلاثين: ويكبرا أربعًا وثلاثين**﴾. لما سألته الخادم، وشكت إليه ما تقاسيه من الطحن والسعي والخدمة فعلمها ذلك، وقال: ﴿**إنه خير لكما من خادم**﴾. فقيل: إن من دوام على ذلك وجد قوة في يومه مغنيةٌ عن خادم.

وسمعت شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى يذكر أثرًا في هذا الباب ويقول: إن الملائكة لما أُمروا بحمل العرش قالوا: يا ربنا كيف نحمل عرشك وعليه عظمتك وجلالك؟ فقال: قولوا: ﴿**لا حول ولا قوة إلاّ بالله**﴾ فلما قالوا حملوه. حتى

رأيت ابن أبي الدنيا قد ذكر هذا الأثر بعينه عن الليث بن سعد عن معاوية بن صالح.

قال: حدثنا مشيختنا: أنه بلغهم أن أوّل ما خلق الله عزّ وجلّ –حين كان عرشه على الماء– حملة العرش، قالوا: ربّنا لم خلقتنا؟ قال: خلقتكم لحمل عرشي. قالوا: ربنا ومن يقوى على حمل عرشك وعليه عظمتك وجلالك ووقارك؟ قال: لذلك خلقتكم. فأعادوا عليه ذلك مرارًا، فقال لهم: قولوا: ﴿**لا حول ولا قوة إلاّ بالله**﴾ فحملوه.

وهذه الكلمة لها تأثير عجيب في معاناة الأشغال الصعبة، وتحمل المشاق، والدخول على الملوك ومن يُخاف، وركوب الأهوال. ولها أيضًا تأثير في دفع الفقر، كما روى ابن أبي الدنيا عن الليث بن سعد عن معاوية بن صالح عن أسد بن وداعة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ﴿**من قال لا حول ولا قوة إلاّ بالله مائة مرة في كل يوم لم**

يصبه فقر أبدًا﴾ وكان حبيب بن سلمة يستحب إذا لقي عدوًا أو ناهض حصنًا قال: لا حول ولا قوة إلاّ بالله، وأنه ناهض يومًا حصنًا للروم فانهزم، فقالها المسلمون وكبروا فانهدم الحصن.

الثانية والستون: أن عمال الآخرة كلهم في مضمار السباق، والذاكرون هم أسبقهم في ذلك المضمار، ولكن القترة والغبار يمنع من رؤية سبقهم، فإذا انجلى الغبار وانكشف رآهم الناس وقد جازوا قصب السبق. قال الوليد بن مسلم: قال محمد بن عجلان: سمعت عمر مولى غفرة يقول: إذا انكشف الغطاء للناس يوم القيامة عن ثواب أعمالهم لم يروا عملاً أفضل ثوابًا من الذكر، فيتحسر عنه ذلك أقوام، فيقولون: ما كان شيء أيسر علينا من الذكر. وقال أبو هريرة: قال رسول الله ﷺ: ﴿**سيروا، سبق المفرّدون**﴾ قالوا: ما المُفَرِّدون؟ قال: ﴿**الذين أُهتِروا في ذكر الله تعالى يضع الذكرُ عنهم**

أوزارهم﴾. أُهْتِروا بالشيء وفيه: أولعوا به ولزموه وجعلوه دأبهم. وفي بعض ألفاظ الحديث: ﴿المستهتَرون بِذكْر الله﴾ ومعناه: الذين أولعوا به، يقال: استهتر فلان بكذا: إذا أولع به. وفيه تفسير آخر: أن أهتروا في ذكر الله أي كَبُروا وهلك أقرانهم وهم في ذكر الله تعالى، يقال: أُهْتِر الرجلُ، فهو مُهْتَر: إذا سقط في كلامه منَ الكبَر، والهَتْر: السقط من الكلام، كأنه بقي في ذكر الله تعالى حتى خرف وأنكر عقله، والهتر الباطل أيضًا، ورجل مستهتر إذا كان كثير الأباطيل. وفي حديث ابن عمر: أعوذ بالله أن أكون من المستهترين. وحقيقة اللفظ: أن الاستهتار هو الإكثارُ من الشيء والولوع به حقًا كان أو باطلاً، وغلب استعماله على المبطل، حتى إذا قيل: فلان مستهتر: لا يفهم منه إلاّ الباطل، وإنما إذا قيد بشيء تقيد به، نحو مستهتر وقد أُهتِر في ذكر الله تعالى، أي أولع به وأغْرِيَ به، ويقال استهتر فيه وبه. وتفسير هذا في الأثر الآخر: ﴿أكثروا ذكر الله تعالى حتى يقال مجنون﴾.

الثالثة والستون: أن الذكر سبب لتصديق الرب عزّ وجلّ عبدَه، فإنه أخبر عن الله تعالى بأوصاف كماله ونعوت جلاله، فإذا أخبر بها العبد صدقه ربه، ومن صدقه الله تعالى لم يحشر مع الكاذبين، ورجي له أن يحشر مع الصادقين.

وروى أبو إسحاق عن الأغرّ أبي مسلم أنه شهد على أبي هريرة وأبي سعيد الخدري رضي الله عنهما أنهما شهدا على رسول الله ﷺ أنه قال: **«إذا قال العبد: لا إله إلاّ الله والله أكبر، قال: يقول الله تبارك وتعالى: صدق عبدي، لا إله إلاّ أنا وأنا أكبر. وإذا قال: لا إله إلاّ الله وحده، قال: صدق عبدي، لا إله إلاّ أنا وحدي، وإذا قال: لا إله إلاّ الله لا شريك له، قال: صدق عبدي، لا إله إلاّ أنا لا شريك لي، وإذا قال: لا إله إلاّ الله له الملك وله الحمد، قال: صدق عبدي، لا إله إلاّ أنا لي الملك ولي الحمد، وإذا قال: لا إله إلاّ الله، ولا حول ولا قوة إلاّ بالله، قال: صدق عبدي لا إله إلاّ أنا**

ولا حول ولا قوة إلاّ بي﴾ قال أبو إسحاق: ثم قال الأغرُّ شيئًا لم أفهمه، قلت لأبي جعفر: ما قال؟ قال: «**من رزقهن عند موته لم تمسه النار**».

الرابعة والستون: أن دور الجنة تُبنى بالذكر، فإذا أمسك الذاكر عن الذكر أمسكت الملائكة عن البناء. ذكر ابن أبي الدنيا في كتابه عن حكيم بن محمد الأخنسي قال: بلغني أن دور الجنة تبنى بالذكر، فإذا أمسك عن الذكر أمسكوا عن البناء، فيقال لهم؟ فيقولون: حتى تأتينا نفقة.

وذكر ابن أبي الدنيا من حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: ﴿**من قال: سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم -سبع مرات- بنى له برج في الجنة**﴾ وكما أن بناءها بالذكر فغراس بساتينها بالذكر كما تقدم في حديث النبي ﷺ عن إبراهيم الخليل عليه السلام: «**إن الجنة**

طيبة التربة، عذبة الماء، وإنها قيعان، وإن غراسها: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلاّ الله والله أكبر» فالذكر غراسها وبناؤها. وذكر ابن أبي الدنيا من حديث عبد الله بن عمر، رضي الله عنهما، أن رسول اللهﷺ قال: ﴿أكثروا من غراس الجنة﴾ قالوا: يا رسول الله، وما غراسها؟ قال: ﴿ما شاء الله، لا حول ولا قوة إلاّ بالله﴾.

الخامسة والستون: أنّ الذكر سد بين العبد وبين جهنم، فإذا كانت له إلى جهنم طريق من عمل من الأعمال كان الذكر سدًا في تلك الطريق، فإذا كان ذكرًا دائمًا كاملاً كان سدًا محكمًا لا منفذ فيه، وإلا فبحسبه. قال عبد العزيز بن أبي رواد: كان رجل بالبادية قد اتخذ مسجدًا فجعل في قِبْلَته سبعة أحجار، كان إذا قضى صلاته قال: يا أحجار أشهدكم أنه لا إله إلاّ الله، قال: فمرض الرجل، فعُرج بروحه، قال: فرأيت في منامي أنه أُمِر بي إلى النار، قال: فرأيت حجرًا من

تلك الأحجار أعرفه قد عَظُم فسدّ عني بابًا من أبواب جهنم، ثم أُتِيَ إلى الباب الآخر وإذا حجر من تلك الأحجار أعرفه قد عظم فسد عني بابًا من أبواب جهنم، حتى سدت عني بقيةُ الأحجار أبوابَ جهنم.

السادسة والستون: أنّ الملائكة تستغفر للذاكر كما تستغفر للتائب، كما روى حسين المعلم عن عبد الله بن بريدة، عن عامر الشعبي، عن عبد الله بن عمرو بن العاص، قال: أجد في كتاب الله المنزَّل: أن العبد إذا قال: ﴿الْحَمْدُ للّهِ﴾ قالت الملائكة: ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ، وإذا قال: ﴿الْحَمْدُ للّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ قالت الملائكة: اللَّهم أغفر لعبدك، وإذا قال: ﴿سُبْحَانَ اللّهِ﴾ قالت الملائكة: اللّهم اغفر لعبدك وإذا قال: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ قالت الملائكة: اللَّهم اغفر لعبدك.

السابعة والستون: أن الجبال والقفار تتباهى وتستبشر بمن يذكر الله عزّ وجلّ عليها. قال ابن مسعود: إن الجبل لينادي

الجبلَ باسمه: أَمَرَّ بك اليوم أحد يذكر الله عزّ وجلّ؟ فإذا قال: نعم، استبشرَ. وقال عون بن عبد الله: إنّ البقاع لينادي بعضها بعضًا: يا جارتاه أَمَرَّ بك اليوم أحد يذكر الله؟ فقائلة: نعم، وقائلة: لا، فقال الأعمش عن مجاهد: إن الجبل لينادي الجبل باسمه: يا فلان هل مر بك اليوم ذاكر لله عزّ وجلّ؟ فمن قائل: لا، ومن قائل: نعم.

الثامنة والستون: أنّ كثرة ذكر الله عزّ وجلّ أمان من النفاق، فإن المنافقين قليلو الذكر لله عزّ وجلّ، قال الله عزّ وجلّ في المنافقين: ﴿وَلاَ يَذْكُرُونَ اللّهَ إِلاَّ قَلِيلاً {النساء/142}﴾ وقال كعب: من أكثر ذكر الله عزّ وجلّ بريء من النفاق: ولهذا –والله أعلم– ختم الله تعالى سورة "المنافقين" بقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ {المنافقون/9}﴾ فإنّ في ذلك تحذيرًا من فتنة المنافقين الذين غفلوا عن ذكر الله عزّ

وجلّ فوقعوا في النفاق. وسئل بعض الصحابة رضي الله عنهم عن الخوارج: منافقون هم؟ قال: لا، المنافقون لا يذكرون الله إلاّ قليلاً. فهذا من علامة النفاق: قلة ذكر الله عزّ وجلّ. وكثرةُ ذكره أمان من النفاق، والله عزّ وجلّ أكرم من أن يبتلي قلبًا ذاكرًا بالنفاق، وإنما ذلك لقلوب غفلت عن ذكر الله عزّ وجلّ.

التاسعة والستون: أن للذكر من بين الأعمال لذة لا يشبهها شيء، فلو لم يكن للعبد من ثوابه إلاّ اللذة الحاصلة للذاكر، والنعم الذي يحصل لقلبه لكفى به، ولهذا سميت مجالس الذكر «رياض الجنة» قال مالك بن دينار: وما تلذذ المتلذذون بمثل ذكر الله عزّ وجلّ، فليس شيء من الأعمال أخف مؤونة منه ولا أعظم لذة ولا أكثر فرحة وابتهاجًا للقلب.

السبعون: أنه يكسو الوجه نضرة في الدنيا ونورًا في الآخرة، فالذاكرون أنضر الناس وجوهًا في الدنيا وأنورهم في

الآخرة، ومن المراسيل عن النبيﷺ قال: ﴿**من قال كل يوم مائة مرة: لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد، يحيي ويميت، بيده الخير، وهو على كل شيء قدير: أتى الله تعالى يوم القيامة ووجهه أشد بياضًا من القمر ليلة البدر**﴾.

الحادية والسبعون: أنّ في دوام الذكر في الطريق والبيت والحضر والسفر والبقاع تكثيرًا لشهود العبد يوم القيامة، فإن البقعة والدار والجبل والأرض تشهد للذاكر يوم القيامة، قال تعالى: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا {الزلزلة/1} وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا {الزلزلة/2} وَقَالَ الْإِنسَانُ مَا لَهَا {الزلزلة/3} يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا {الزلزلة/4} بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا {الزلزلة/5}﴾ فروى الترمذي في «جامعه» من حديث سعيد المقبري عن أبي هريرة قال: قرأ رسول اللهﷺ هذه الآية: ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا {الزلزلة/4}﴾، قال: ﴿**أتدرون ما أخبارها**﴾؟ قالوا:

الله ورسوله أعلم، قال: ﴿**فإنّ أخبارها: أن تشهد على كلّ عبد أو أمة بما عمل على ظهرها، تقول: عمل يوم كذا كذا وكذا**﴾ قال الترمذي هذا حديث حسن صحيح. والذاكر لله عزّ وجلّ في سائر البقاع يكثر شهوده، ولعلهم أو أكثرهم أن يقبلوه يوم القيامة يوم قيام الأشهاد وأداء الشهادات فيفرح ويغتبط بشهادتهم.

الثانية والسبعون: أن في الاشتغال بالذكر اشتغالاً عن الكلام الباطل من الغيبة واللغو ومدح الناس وذمهم وغير ذلك، فإن اللسان لا يسكت البتة، فإما لسان ذاكر، وإما لسان لاغ، ولا بد من أحدهما، فهي النفس إن لم تشغلها بالحق شغلتك بالباطل، وهو القلب إن لم تسكنه محبة الله عزّ وجلّ سكنَتْه محبة المخلوقين ولا بد وهو اللسان إن لم تشغله بالذكر شغلك باللغو، وهو عليك ولا بد، فاختر لنفسك إحدى الخطتين، وأنزلها في إحدى المنزلتين.

الثالثة والسبعون: وهي التي بدأنا بذكرها وأشرنا إليها إشارة فنذكرها هاهنا مبسوطة لعظيم الفائدة بها، وحاجة كل أحد بل ضرورته إليها، وهي: أن الشياطين قد احتوشت العبد، وهم أعداؤه، فما ظنك برجل قد احتوشه أعداؤه المحنقون عليه غيظًا وأحاطوا به، وكل منهم يناله بما يقدر عليه من الشر والأذى؟ ولا سبيل إلى تفريق جميعهم عنه إلاّ بذكر الله عزّ وجلّ. وفي هذا الحديث العظيم الشريف القدر الذي ينبغي لكل مسلم أن يحفظه، فنذكره بطوله لعموم فائدته وحاجة الخلق إليه، وهو حديث سعيد بن المسيب، عن عبد الرحمن بن سمرة بن جندب قال: خرج علينا رسول اللهﷺ يومًا وكنَّا في صُفَّة بالمدينة، فقام علينا فقال: **﴿إني رأيت البارحة عجبًا: رأيت رجلاً من أمتي أتاه ملك الموت ليقبض روحه، فجاءه بره بوالديه فرد ملك الموت عنه. ورأيت رجلاً من أمتي قد بسط عليه عذاب القبر،**

فجاءه وضوؤه فاستنقذه من ذلك. ورأيت رجلاً من أمتي قد احتوشته الشياطين فجاءه ذكر الله عزّ وجلّ فطرد الشيطان عنه، ورأيت رجلاً من أمتي قد احتوشته ملائكة العذاب فجاءته صلاته فاستنقذته من أيديهم، ورأيت رجلاً من أمتي يلهب –وفي رواية يلهث– عطشًا، كلما دنا من حوض منع وطرد، فجاءه صيام شهر رمضان فأسقاه وأرواه. ورأيت رجلاً من أمتي ورأيت النبيين جلوسًا حلقًا كلما دنا إلى حلقة طرد، فجاءه غسله من الجنابة فأخذ بيده فأقعده إلى جنبي. ورأيت رجلاً من أمتي بين يديه ظلمة ومن خلفه ظلمة وعن يمينه ظلمة وعن يساره ظلمة ومن فوقه ظلمة ومن تحته ظلمة وهو متحير فيها، فجاءه حجه وعمرته فاستخرجاه من الظلمة وأدخلاه في النور. ورأيت رجلاً من أمتي يتقي بيده وهج النار وشرره، فجاءته صدقته فصارت سترة بينه وبين النار وظلَّلتْ على رأسه. ورأيت رجلاً من

أمتي يكلم المؤمنين ولا يكلمونه، فجاءته صلته لرحمه فقالت: يا معشر المسلمين، إنّه كان وَصولاً لرحمه فكلّموه، فكلمه المؤمنون وصافحوه وصافحهم. ورأيت رجلاً من أمتي قد احتوشته الزبانية، فجاءه أمره بالمعروف ونهيه عن المنكر فاستنقذه من أيديهم وأدخله في ملائكة الرحمة. ورأيت رجلاً من أمتي جاثيًا على ركبتيه وبينه وبين الله عزّ وجلّ حجاب، فجاءه حسنُ خلقه فأخذ بيده فأدخله على الله عزّ وجلّ. ورأيت رجلاً من أمتي قد ذهبت صحيفته من قبل شماله، فجاءه خوفه من الله عزّ وجلّ فأخذ صحيفته فوضعها في يمينه. ورأيت رجلاً من أمتي خف ميزانه فجاءه أفراطه فثقَّلوا ميزانه. ورأيت رجلاً من أمتي قائمًا على شفير جهنم، فجاءه رجاؤه في الله عزّ وجلّ فاستنقذه من ذلك ومضى. ورأيت رجلاً من أمتي قد أُهْوِيَ في النار، فجاءته دمعته التي بكى من خشية الله عزّ وجلّ فاستنقذته

من ذلك. ورأيت رجلاً من أمتي قائمًا على الصراط يُرْعَدُ كما تُرْعَدُ السُّعفة في ريح عاصف، فجاءه حسن ظنه بالله عزّ وجلّ فسكَن رِعْدَتهُ ومضى. ورأيت رجلاً من أمتي يزحف على الصراط ويحبو أحيانًا، فجاءته صلاته عليَّ فأقامته على قدميه وأنقذته. ورأيت رجلاً من أمتي انتهى إلى أبواب الجنة، فغُلِّقَتْ الأبواب دونه، فجاءته شهادة أن لا إله إلاّ الله ففتحت له الأبواب، وأدخلته الجنة﴾. رواه الحافظ أبو موسى المديني في كتابه "الترغيب في الخصال المنجية، والترهيب من الخلال المردية" وبنى كتابه عليه وجعله شرحًا له، وقال: هذا حديث حسن جدًا رواه عن سعيد بن المسيب عمرو بن آذر وعلي بن زيد بن جدعان وهلال أبو جبلة. وكان شيخ الإسلام ابن تيمية قدس الله روحه يعظم شأنه هذا الحديث، وبلغني عنه أنه كان يقول: شواهد الصحة عليه والمقصود منه قوله ﷺ: ﴿رأيت رجلاً من أمتي احتوشته

الشياطين، فجاءه ذِكرُ الله عزّ وجلّ فطرد الشياطين عنه﴾ فهذا مطابق لحديث الحارث الأشعري الذي شرحناه في هذه الرسالة وقوله فيه: ﴿**وآمرُكُم بذكر الله عزّ وجلّ، وأن مثل ذلك كمثل رجل طلبه العدو فانطلقوا في طلبه سراعًا، وانطلق حتى أتى حصنًا حصينًا فأحرز نفسه فيه، فكذلك الشيطان لا يحرز العباد أنفسهم منه إلاّ بذكر الله عزّ وجلّ**﴾. وفي الترمذي عن أنس بن مالك: قال رسول اللهﷺ: ﴿**من قال يعني إذا خرج من بيته: -بسم الله توكلت على الله، لا حول ولا قوة إلاّ بالله. يقال له: كُفِيتَ وهُدِيت ووُقيتَ. وتنحى عنه الشيطان، فيقول لشيطان آخر: كيف لك برجل قد هُدي وكفي ووقي؟**﴾ رواه أبو داود والنسائي والترمذي وقال حديث حسن.

وقد تقدم قولهﷺ: ﴿من قال في يوم مائة مرة: لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كلّ

شيء قدير، كانت له حرزًا من الشيطان حتى يمسي﴾. وذكر سفيان عن أبي الزبير عن عبد الله بن ضمرة عن كعب قال: «إذا خرج الرجل من بيته، فقال: باسم الله، قال: هديت، وإذا قال: توكلت على الله، قال الملك: كفيت، وإذا قال لا حول ولا قوة إلاّ بالله، قال الملك: حفظت. فيقول الشياطين بعضهم لبعض: ارجعوا ليس لكم عليه سبيل، كيف لكم بمن كُفِيَ وهُدِيَ وحُفِظَ؟».

قال أبو خلاد المصري: من دخل في الإسلام دخل في حصن، ومن دخل المسجد فقد دخل في حصنين، ومن جلس في حلقة يذكر الله عزّ وجلّ فيها فقد دخل في ثلاثة حصون. وقد روى الحافظ أبو موسى في كتابه من حديث أبي عمران الجوني عن أنس عن النبي ﷺ قال: ﴿**إذا وضع العبدُ جنبه على فراشه، فقال باسم الله، وقرأ فاتحة الكتاب أمن من شر الجن والإنس ومن كل شيء**﴾.

وفي صحيح البخاري عن محمد بن سيرين عن أبي هريرة قال: ولاّني رسول اللهﷺ زكاة رمضان أن أحتفظ بها فأتاني آتٍ فجعل يحثو من الطعام، فأخذته، فقال: دعني فأنا لا أعود فذكر الحديث، وقال: فقال له في الثالثة: أعلمك كلمات ينفعك الله بهن، إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي من أولها إلى آخرها فإنه لا يزال عليك من الله حافظ، ولا يقربك شيطان حتى تصبح، فخلَّى سبيله، فأصبح فأخبر النبيﷺ بقوله، فقال: ﴿**صدقك، وهو كذوب**﴾ وذكر الحافظ أبو موسى من حديث أبي الزبير عن جابر قال: قال رسول اللهﷺ: ﴿**إذا أوى الإنسان إلى فراشه ابتدره ملك وشيطان، فيقول الملك: اختم بخير، ويقول الشيطان: اختم بشرّ. فإذا ذكرَ الله تعالى حتى يغلبه -يعني النوم- طَرَدَ الملكُ الشيطانَ وبات يكلؤه، فإذا استيقظ ابتدره ملك وشيطان، فيقول الملك: افتح بخير، ويقول الشيطان: افتح**

بشر، فإذا قال: الحمد لله الذي أحيا نفسي بعد موتها ولم يُمِتْها في منامها، الحمد لله الذي يُمسك التي قضى عليها الموتَ، ويُرسل الأخرى إلى أجل مسمَّى، الحمد الله الذي يمسك السموات والأرض أن تزولا، ولئن زالتا إن أمسكهما من أحد من بعده، الحمد لله الذي يمسك السماء أن تقع على الأرض إلاّ بإذنه، طرد الملكُ الشيطانَ وظل يَكْلَؤُه﴾. وفي الصحيحين من حديث سالم بن أبي الجعد عن كريب عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: ﴿أما لو أن أحدكم إذا أتى أهله قال: باسم الله، اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا، فيولد بينهما ولد لا يضره الشيطان أبدًا﴾ وذكر الحافظ أبو موسى عن الحسن بن علي قال: أنا ضامن لمن قرأ هذه العشرين الآية أن يعصمه الله تعالى من كل شيطان ظالم، ومن كل شيطان مريد، ومن كل سبع ضار، ومن كل لص عاد: آية الكرسي وثلاث آيات من الأعراف:

﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلاَ لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ تَبَارَكَ اللّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ {الأعراف/54} ادْعُواْ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ {الأعراف/55} وَلاَ تُفْسِدُواْ فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاَحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ {الأعراف/56} وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّى إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالاً سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ الْمَاء فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ {الأعراف/57}﴾. وعشرًا من الصافات: ﴿وَالصَّافَّاتِ صَفًّا {الصافات/1} فَالزَّاجِرَاتِ زَجْرًا {الصافات/2} فَالتَّالِيَاتِ ذِكْرًا {الصافات/3} إِنَّ إِلَهَكُمْ لَوَاحِدٌ {الصافات/4} رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ الْمَشَارِقِ {الصافات/5} إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاء الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ

{الصافات/6} وَحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطَانٍ مَّارِدٍ {الصافات/7} لَا يَسَّمَّعُونَ إِلَى الْمَلَإِ الْأَعْلَى وَيُقْذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٍ {الصافات/8} دُحُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ {الصافات/9} إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ {الصافات/10}﴾ وثلاث آيات من الرحمن: ﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانفُذُوا لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ {الرحمن/33} فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ {الرحمن/34}﴾. وخاتمة سورة الحشر: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ {الحشر/21} هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ {الحشر/22} هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ {الحشر/23} هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ

الْأَسْمَاء الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ {الحشر/24}﴾. وقال محمد بن أبان: بينما رجل يصلي في المسجد إذا هو بشيء إلى جنبه فجفل منه، فقال: ليس عليك مني بأس إنما جئتك في الله تعالى، إئتِ عروة فسله: ما الذي يُتَعوَّذُ به؟ يعني من إبليس الأباليس. فأتيته فسألته فقال «قل: **آمنت بالله العظيم وحده وكفرت بالجبت والطاغوت واعتصمت بالعروة الوثقى لا انفصام لها، والله سميع عليم، حسبي الله وكفى، سمع الله لمن دعا، ليس وراء الله منتهى**».

وقال بشر بن منصور: عن وهيب بن الورد قال: خرج رجل إلى الجبانة بعد ساعة من الليل، قال: فسمعت حسًا -أو صوتًا- شديدًا، وجيء بسرير حتى وضع، وجاء شيء حتى جلس عليه. قال: واجتمعت إليه جنوده، ثم صرخ فقال: من لي بعروة بن الزبير؟ فلم يجبه أحد حتى تتبع ما شاء الله عزّ وجلّ من الأصوات، فقال واحد: أنا أكفيكه. قال: فتوجه

نحو المدينة وأنا ناظر، ثم أوشك الرجعة، فقال: لا سبيل إلى عروة، قال: ويلك لمَ؟ قال: وجدته يقول كلمات إذ أصبح وإذ أمسى فلا نخلص إليه معهن! قال الرجل: فلما أصبحت قلت لأهلي: جهزوني، فأتيت المدينة فسألت عنه حتى دللت عليه، فإذا بشيخ كبير، فقلت: شيئًا تقوله إذا أصبحت وإذا أمسيت؟ فأبى أن يخبرني، فأخبرته بما رأيت وما سمعت، فقال: ما أدري غير أني أقول إذا أصبحت: «**آمنت بالله العظيم، وكفرت بالجبت والطاغوط، واستمسكت بالعروة الوثقى التي لا انفصام لها، والله سميع عليم**»: إذا أصبحت قلت ثلاث مرات وإذا أمسيت قلت ثلاث مرات.

وذكر أبو موسى عن مسلم البطين قال: قال جبريل للنّبي ﷺ: ﴿**إن عفريتًا من الجن يكيدك، فإذا أويت إلى فراشك فقل: أعوذ بكلمات الله التامّات التي لا يجاوزهن بَرٌّ ولا فاجر، من شر ما ينزل من السماء وما يعرج فيها، ومن**

شر ما ذرأ في الأرض وما يخرج منها، ومن شر فتن الليل والنّهار، ومن شر طوارق الليل والنهار إلاّ طارق يطرق بخير يا رحمن﴾.

وقد ثبت في الصحيح: «أن الشيطان يهرب من الآذان» قال سُهيل بن أبي صالح: أرسلني أبي إلى بني حارثة ومعي غلام- أو صاحب- لنا فنادى منادٍ من حائط باسمه، فأشرف الذي معي على الحائط فلم ير شيئًا، فذكرت ذلك لأبي؟ فقال: لو شعرت أنك تلقى هذا لم أرسلك، ولكن إذا سمعت صوتًا فناد بالصلاة، فإني سمعت أبا هريرة يحدث عن رسول اللهﷺ أنه قال: ﴿**إن الشيطان إذا نودي بالصلاة ولّى وله حُصاصٌ**﴾ وفي رواية: ﴿إذا سمع النداء ولى وله ضُراط، حتى لا يسمع التأذين...﴾ الحديث.

وذكر الحافظ أبو موسى من حديث أبي رجاء عن أبي بكر الصّديق قال: قال رسول اللهﷺ: ﴿استكثروا من لا إله

إلاّ الله والاستغفار، فإن الشيطان قال: قد أهلكتُهم بالذنوب وأهلكوني بقول لا إله إلاّ الله والإستغفار، فلما رأيت ذلك منهم أهلكتهم بالأهواء حتى يَحسَبُون أنَّهم مهتدون فلا يستغفرون﴾. وذكر أيضًا عن إبراهيم بن الحكم عن أبيه عن عكرمة قال: بينا رجل مسافر إذا مر برجل نائم ورأى عنده شياطين، فسمع المسافر أحدَ الشياطين يقول لصاحبه: اذهب فأفسد على هذا النائم قلبه، فلما دنا منه رجع إلى صاحبه فقال: لقد نام على آية مالنا إليه سبيل، فذهب إلى النائم فلما دنا منه رجع قال: صدقت، فذهب. ثم إن المسافر أيقظه وأخبره بما رأى من الشياطين فقال: أخبرني على أي آية نمت؟ قال على هذه الآية: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلاَ لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ تَبَارَكَ اللّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ

{الأعراف/54}﴾. وقال أبو النضر هاشم بن القاسم: كنت أرى في داري فقيل: يا أبا النضر تحوّل عن جوارنا. قال: فاشتد ذلك عليَّ، فكتبت إلى الكوفة إلى ابن إدريس والمحاربي وأبي أسامة، فكتب إليَّ المحاربي: إن بئرًا بالمدينة كان يقطع رشاؤها، فنزل بهم ركب، فشكوا ذلك إليهم، فدعوا بدلوٍ من ماء ثم تكلموا بهذا الكلام، فصبُّوه في البئر فخرجت نار من البئر فطفئت على رأس البئر. قال أبو النضر: فأخذت تورًا من ماء، ثم تكلمت فيه بهذا الكلام، ثم تتبّعت به زوايا الدّار فرششته، فصاحوا بي: أحرقتنا، نحن نتحول عنك: وهو: باسم الله، أمسينا بالله الذي ليس منه شيء ممتنع، وبعزة الله التي لا ترام ولا تضام، وبسلطان الله المنيع نحتجب، وبأسمائه الحسنى كلها عائذ من الأبالسة، ومن شر شياطين الإنس والجن، ومن شرّ كلِّ مُعلِن أو مُسِرٍّ، ومن شر ما يخرج بالليل ويمكن بالنهار، ويكمن بالليل ويخرج بالنهار، ومن شر ما خلق وذرأ وبرأ، ومن شر إبليس وجنوده، ومن شر كل دابة

أنت آخذ بناصيتها، إن ربي على صراط مستقيم، أعوذ بالله بما استعاذ به موسى وعيسى وإبراهيم الذي وفَّى، من شر ما خلق وذرأ وبرأ، ومن شر إبليس وجنوده، ومن شر ما يبغي. أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم. ﴿وَالصَّافَّاتِ صَفًّا {الصافات/1} فَالزَّاجِرَاتِ زَجْرًا {الصافات/2} فَالتَّالِيَاتِ ذِكْرًا {الصافات/3} إِنَّ إِلَهَكُمْ لَوَاحِدٌ {الصافات/4} رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ الْمَشَارِقِ {الصافات/5} إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ {الصافات/6} وَحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطَانٍ مَّارِدٍ {الصافات/7} لَا يَسَّمَّعُونَ إِلَى الْمَلَإِ الْأَعْلَى وَيُقْذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٍ {الصافات/8} دُحُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ {الصافات/9} إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ {الصافات/10}﴾. فهذا بعض ما يتعلق بقوله ﷺ لذلك العبد: ﴿لا يُحرزُ نفسه من الشيطان إلاّ بذكر الله تعالى﴾. ولنذكر فصولاً نافعة تتعلق بالذكر تكميلاً للفائدة:

دعاء عروة بن الزبير

آمنت بالله العظيم،

وكفرت بالجبت والطاغوت،

واستمسكت بالعروة الوثقى

التي لا انفصام لها،

والله سميع عليم.

{بشر بن منصور: عن وهيد بن الورد}

الأذكار الموظَّفة

التي لا ينبغي للعبد

أن يخلّ بهَا

لشدّة الحاجة إليها،

وعظم الانتفاع في الآجل

والعاجل بها

في ذكر طرفي النهار

وهما ما بين الصبح وطلوع الشمس، وما بين العصر والغروب: قال سبحانه وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا {الأحزاب/41} وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا {الأحزاب/42}﴾ والأصيل: قال الجوهري: هو الوقت بعد العصر إلى المغرب، وجمعه: أُصُل وآصال وأصائل، كأنه أصيلة، قال الشاعر:

لَعَمْري لأَنتَ البيتُ أُكرِمُ أهلَه ۞ وأَقْعُدُ في أفيائِه بالأصائِلِ

ويُجمع أيضًا على أصْلان، مثل بعير وبُعران، ثم صغَّروا الجميع فقالوا: أصيلان، ثم أبدلوا من النون لامًا فقالوا: أصيلال، قال الشاعر:

لَعَمْري لأَنتَ البيتُ أُكرمُ أهله ۞ وأَقْعُدُ في أفيائِه بالأَصائِلِ
وقفت فيها أصيلالاً أسائلُها ۞ أعيتْ جوابًا وما بالرَّبْع من أحد

وقال تعالى: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ {غافر/55}﴾ فالإبكار: أول النّهار والعشي آخره، وقال تعالى: ﴿وَسَبِّحْ

بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ {ق/39}﴾ وهذا تفسير ما جاء في الأحاديث: من قال كذا وكذا حين يصبح وحين يمسي: أن المراد به قبل طلوع الشمس وقبل غروبها، وأن محل هذه الأذكار بعد الصبح وبعد العصر.

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة عن النبيﷺ قال: ﴿**من قال حين يصبح وحين يمسي: سبحان الله وبحمده مائة مرة لم يأت أحد يوم القيامة بأفضل ممّا جاء به، إلاّ أحد قال مثل ما قال أو زاد عليه**﴾ وفي صحيحه أيضًا عن ابن مسعود قال: كان نبي اللهﷺ إذا أمسى قال: ﴿**أمسينا وأمسى الملك لله والحمد لله، لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد وهو على كل شيء قدير، رب أسألك خير ما في هذه الليلة وخير ما بعدها، وأعوذ بك من شر ما في هذه الليلة وشر ما بعدها. رب أعوذ بك من الكسل وسوء الكبر، رب أعوذ بك من عذاب في النار وعذاب**

في القبر. وإذا أصبح قال ذلك أيضًا: أصبحنا وأصبح الملك لله﴾.

وفي السنن عن عبد الله بن حبيب قال: قال رسول الله ﷺ: ﴿قل﴾، قلت: يا رسول الله، ما أقول؟ قال: ﴿قُل: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ {الإخلاص/1}﴾. و المعوذتين حين تمسي وحين تصبح ثلاث مرات تكفيك من كل شيء﴾. قال الترمذي: حديث حسن صحيح وفي الترمذي أيضًا عن أبي هريرة أن النبي ﷺ كان يعلم أصحابه يقول: ﴿إذا أصبح أحدكم فليقل: اللّهمّ بك أصبحنا، وبك أمسينا، وبك نحيا، وبك نموت، وإليك النشور. وإذا أمسى فليقل: اللّهمّ بك أمسينا وبك أصبحنا وبك نحيا وبك نموت وإليك المصير﴾. قال الترمذي حديث حسن صحيح.

وفي صحيح البخاري: عن شداد بن أوس عن النبي ﷺ قال: ﴿سيد الاستغفار: اللّهمّ أنت ربي لا إله إلاّ أنت،

خلقتني وأنا عبدك، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت، أعوذ بك من شر ما صنعتُ، أبوءُ لك بنعمتك عليَّ، وأبوءُ بذنبي، فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلاّ أنت. من قالها حين يمسي فمات من ليلته دخل الجنة، ومن قالها حين يصبح فمات من يومه دخل الجنة﴾.

وفي الترمذي عن أبي هريرة: أن أبا بكر الصديق قال لرسول الله: مُرني بشيء أقوله إذا أصبحتُ وإذا أمسيتُ. قال ﷺ: ﴿قل اللّهمّ عالم الغيب والشهادة، فاطر السموات والأرض، رب كل شيء ومليكه، أشهد أن لا إله إلاّ أنت، أعوذ بك من شر نفسي وشر الشيطان وشركه، وأن نقترف سوءً على أنفسنا، أو نجره إلى مسلم. قُلْهُ إذا أصبحت وإذا أمسيت وإذا أخذت مضجعك﴾ قال الترمذي: حديث حسن صحيح. وفي الترمذي أيضًا عن عثمان بن عفان قال: قال رسول الله ﷺ: ﴿مَا مِنْ عَبْدٍ يَقُولُ فِي صَبَاحِ كُلِّ يَوْمٍ

وَمَسَاءِ كُلِّ لَيْلَةٍ: بِسْمِ اللَّهِ الَّذِي لَا يَضُرُّ مَعَ اسْمِهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ لَمْ يَضُرَّهُ شَيْءٌ﴾. قال الترمذي: حديث حسن صحيح. وفيه أيضًا عن ثوبان وغيره أن رسول اللهﷺ قال: ﴿من قال حين يمسي وإذا أصبح: رضيت بالله ربًا وبالإسلام دينًا وبمحمدﷺ نبيًا، كان حقًا على الله أن يرضيه﴾ وقال: حديث حسن صحيح. وفي الترمذي أيضًا عن أنس أن رسول اللهﷺ قال: ﴿من قال حين يصبح أو يمسي اللّهمّ إني أصبحت أُشهدَك وأشهد حملة عرشك وملائكتك وجميع خلقك: أنك أنت الله لا إله إلاّ أنت، وأن محمدًا عبدك ورسولك: أعتق الله ربعه من النار. ومن قالها مرتين أعتق الله نصفه من النار، ومن قالها ثلاثًا أعتق الله ثلاثة أرباعه من النار، ومن قالها أربعًا أعتقه الله من النار﴾.

وفي سنن أبي داود عن عبد الله بن غنام أن رسول اللهﷺ قال: ﴿من قال حين يصبح: اللّهمّ ما أصبح بي

من نعمة أو بأحد من خلقك فمنك وحدك لا شريك لك، لك الحمد ولك الشكر: فقد أدَّى شكر يومه، ومن قال مثل ذلك حين يمسي فقد أدى شكر ليلته﴾. وفي السنن وصحيح الحاكم عن عبد الله بن عمر، رضي الله عنهما، قال: لم يكن النبيﷺ يدع هؤلاء الكلمات حين يمسي وحين يصبح: ﴿اللّهمّ إني أسألك العافية في الدنيا والآخرة، اللّهمّ إني أسألك العفو والعافية في ديني ودنياي وأهلي ومالي، اللّهمّ استر عوراتي، وآمن روعاتي. اللّهمّ احفظني من بين يدي ومن خلفي وعن يميني وعن شمالي ومن فوقي، وأعوذ بعظمتك أن أغتال من تحتي﴾ وعن طلق بن حبيب قال: جاء رجل إلى أبي الدارداء فقال: يا أبا الدرداء، قد احترق بيتك. فقال: ما احترق، لم يكن الله ليفعل ذلك، لكلمات سمعتهن من رسول اللهﷺ من قالها أول النهار لم تصبه مصيبة حتى يمسي، ومن قالها آخر النهار لم تصبه مصيبة حتى يصبح: ﴿اللّهمّ أنت ربي لا إله إلاّ أنت، عليك توكلت، وأنت رب

العرش العظيم، ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، ولا حول ولا قوة إلاّ بالله العلي العظيم، أعلم أن الله على كل شيء قدير، وأن الله قد أحاط بكل شيء علمًا، اللّهمّ إني أعوذ بك من شر نفسي، ومن شر كل دابة أنت آخذٌ بناصيتها، إن ربي على صراط مستقيم﴾.

الفصل الثاني

في أذكار النوم

وفي الصحيحين عن حذيفة قال: كان رسول الله ﷺ إذا أراد أن ينام قال: ﴿**باسمك اللهمّ أموت وأحيا**﴾. وإذا استيقظ من منامه قال: ﴿**الحمد لله الذي أحيانا بعد ما أماتنا وإليه النشور**﴾.

وفي الصحيحين أيضًا عن عائشة رضي الله عنها: أن النبي ﷺ كان إذا أوى إلى فراشه كل ليلة: جمع كفيه ثم نفث فيهما: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ {الإخلاص/1}﴾ و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ

﴿الفلق/1﴾ و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ الناس/1﴾ ثم يمسح بهما ما استطاع من جسده، يبدأ بهما على رأسه ووجهه وما أقبل من جسده، «يفعل ذلك ثلاث مرات». وفي صحيح البخاري عن أبي هريرة: أنه أتاه آتٍ يحثو من الصدقة، وكان قد جعله النبي ﷺ عليها ليلة بعد ليلة، فلما كان في الليلة الثالثة قال: لأرفعنك إلى رسول الله ﷺ، قال: دعني أعلمك كلمات ينفعك الله بهن -وكان أحرص شيء على الخير- فقال: إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي: ﴿اللَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لاَ تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلاَ نَوْمٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلاَ يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلاَّ بِمَا شَاء وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَلاَ يَؤُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ البقرة/255﴾ حتى تختمها، فإنه لا يزال عليك من الله حافظ، ولا يقربك شيطان حتى تصبح، فقال النبي ﷺ:

﴿صدقك وهو كذوب﴾. وقد روى الإمام أحمد نحو هذه القصة في مسنده أنها جرت لأبي الدرداء، ورواها الطبراني في معجمه أنها جرت لأبي بن كعب. وفي الصحيحين عن أبي مسعود الأنصاري عن النبي ﷺ قال: ﴿**من قرأ بالآيتين من آخر سورة البقرة كفتاه**﴾. الصحيح: أن معناها كفتاه من شر ما يؤذيه، وقيل: كفتاه من قيام الليل، وليس بشيء، قال علي بن أبي طالب: ما كنت أرى أحدًا يعقِل وينام قبل أن يقرأ الآيات الثلاث والأواخر من سورة البقرة. وفي الصحيحين عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: ﴿إِذَا قَامَ أَحَدُكُمْ عَنْ فِرَاشِهِ ثُمّ رَجَعَ إِلَيْهِ فَلْيَنْفُضْهُ بِصَنِفَةِ إِزَارِهِ ثَلَاثَ مَرّاتٍ، فَإِنّهُ لَا يَدْرِي مَا خَلَفَهُ عَلَيْهِ بَعْدَهُ، فَإِذَا اضْطَجَعَ فَلْيَقُلْ: بِاسْمِكَ اللّهمّ رَبّي وَضَعْتُ جَنْبِي وَبِكَ أَرْفَعُهُ، فَإِنْ أَمْسَكْتَ نَفْسِي فَارْحَمْهَا، وَإِنْ أَرْسَلْتَهَا فَاحْفَظْهَا بِمَا تَحْفَظُ بِهِ عِبَادَكَ الصّالِحِينَ﴾. وفي الصحيحين عنه عن النبي ﷺ: ﴿إذا

استيقظ أحدكم فليقل: الحمد الله الذي عافاني في جسدي، ورد عليَّ روحي، وأذن لي بذكره﴾ .

وقد تقدم حديث علي رضي الله عنه ووصية النبي ﷺ له ولفاطمة رضي الله تعالى عنهما: ﴿أن يسبّحا إذا أخذا مضاجعهما للنوم ثلاثًا وثلاثين، ويحمدا ثلاثًا وثلاثين، ويكبرا أربعًا وثلاثين﴾، وقال: ﴿**هو خير لكما من خادم**﴾. قال شيخ الإسلام ابن تيمية قدس الله روحه: بلغنا أنّه من حافظ على هذه الكلمات لم يأخذه إعياء فيما يعانيه من شغل وغيره. وفي سنن أبي داود عن حفصة أم المؤمنين: أن النبي كان إذا أراد أن يرقد وضع يده اليمنى تحت خده، ثم يقول: ﴿**اللّهمّ قني عذابك يوم تبعث عبادك**﴾ ثلاث مرات، قال الترمذي: حديث حسن. وفي صحيح مسلم عن أنس أن النبي ﷺ كان إذا أوى إلى فراشه قال: ﴿**الحمد الله الذي أطعمنا وسقانا وكفانا وآوانا، فكم ممن لا كافي له ولا مؤوي**﴾ . وفي صحيحه

أيضًا عن ابن عمر، رضي الله تعالى عنهما: أنه أمر رجلاً إذا أخذا مضجعه أن يقول: ﴿**اللّهمّ أنت خلقت نفسي وأنت تتوافاها، لك مماتها ومحياها، وإن أحييتها فاحفظها، وإن أمتَّها فاغفر لها، اللّهمّ إني أسألك العافية**﴾. قال ابن عمر سمعتهن من رسول اللهﷺ. وفي الترمذي عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول اللهﷺ: ﴿**من قال حين يأوي إلي فراشه: أستغفر الله الذي لا إله إلاّ هو الحي القيوم وأتوب إليه -ثلاث مرات- غفر الله ذنوبه وإن كانت مثل زبد البحر، وإن كانت عدد رمل عالج، وإن كانت عدد أيام الدنيا**﴾. وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة: أن النبيﷺ كان إذا أوى إلى فراشه قال: ﴿**اللّهمّ ربِّ السموات ورب الأرض ورب العرش العظيم، ربنا ورب كل شيء، فالق الحب والنوى، منزل التوراة والإنجيل والفرقان، أعوذ بك من شر كل ذي شر أنت آخذ بناصيته، أنت الأول فليس**

قبلك شيء، وأنت الآخر فليس بعدك شيء، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء، وأنت الباطن فليس دونك شيء، اقض عنا الدين، وأغننا من الفقر﴾ وفي الصحيحين عن البراء بن عازب قال: قال لي رسول الله ﷺ: **﴿إذا أتيت مضجعك فتوضأ وضوءك للصلاة، ثم اضطجع على شقك الأيمن وقل: اللّهمّ أسلمت نفسي إليك، ووجهت وجهي إليك، وفوضت أمري إليك، وألجأت ظهري إليك، رغبة ورهبة إليك، لا ملجأ ولا منجا منك إلاّ إليك، آمنت بكتابك الذي أنزلت، وبنبيك الذي أرسلت، فإن متَّ مت على الفطرة، واجعلهن آخر ما تقول﴾**.

الفصل الثالث

﴿ في أذكار الانتباه من النوم ﴾

روى البخاري في صحيحه عن عبادة بن الصامت عن النبي ﷺ قال: **﴿من تعارَّ من الليل فقال: لا إله إلاّ الله**

وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كلّ شيء قدير. الحمد لله وسبحان الله ولا إله إلاّ الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلاّ بالله ثم قال: اللّهمّ اغفر لي، أو دعا، استجيب له. فإن توضأ وصلى قبلت صلاته﴾. وفي الترمذي عن أبي أمامة قال: سمعت رسول اللهﷺ يقول: ﴿من أوى إلى فراشه طاهرًا، وذكر الله تعالى حتى يدركه النعاس لم يتقلب ساعة من الليل يسأل الله تعالى فيها خيرًا من خير الدنيا والآخرة إلاّ أعطاه إياه﴾. حديث حسن. وفي سنن أبي داود عن عائشة رضي الله عنها أن الرسولﷺ كان إذا استيقظ من الليل قال: ﴿لا إله إلاّ أنت سبحانك اللهم أستغفرك لذنبي، وأسألك رحمتك، اللهم زدني علمًا ولا تزغ قلبي بعد إذ هديتني، وهب لي من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب﴾.

في أذكار الفزع في النوم والفكر

روى الترمذي عن بردة قال: شكا خالد بن الوليد إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، ما أنام الليل من الأرق؟ فقال النبي ﷺ: **﴿إذا أويت إلى فراشك فقل: اللّهمّ رب السموات السبع وما أظلّت، ورب الأرضين وما أقلّت، ورب الشياطين وما أضلّت، كن لي جارًا من شر خلقك كلهم جميعًا أن يفرُط عليّ أحد منهم، أو أن يبغيَ عليَّ، عزّ جارك وجلّ ثناؤك، ولا إله غيرك، ولا إله إلاّ أنت﴾**.

وفي الترمذي عن عبد الله بن عمرو: أن رسول الله ﷺ كان يعلمهم من الفزع كلمات: **﴿أعوذ بكلمات الله التامة من غضبه، وشر عباده، ومن همزات الشياطين وأن يحضرون﴾**.

في أذكار من رأى رؤيا يكرهها أو يحبها

في الصحيحين عن أبي قتادة قال: سمعت رسول اللهﷺ يقول: ﴿**الرؤيا من الله، والحُلْم من الشيطان، فإذا رأى أحدكم الشيءَ يكرهه فلينفُث عن يساره ثلاث مرات إذا استيقظ، وليَتَعَوَّذ بالله من شرها فإنَّها لن تضره إن شاء الله**﴾ قال أبو قتادة: كنت أرى الرؤيا تُمرِضُني، حتى سمعت رسول اللهﷺ يقول: ﴿الرؤيا الصالحة من الله، فإذا رأى أحدكم ما يحب فلا يحدث به إلاّ من يحب، وإذا رأى ما يكرهه فلا يحدث به، وليتفل عن يساره، وليتعوذ بالله من الشيطان الرجيم ومن شر ما رأى، فإنها لا تضره﴾.

وفي صحيح مسلم عن جابر عن رسول اللهﷺ قال: ﴿إذا رأى أحدكم الرؤيا يكرهها فليبصق عن يساره ثلاث مرات، وليستعذ بالله من الشيطان ثلاثًا، وليتحوَّلْ عن جنبه الذي كان عليه﴾ ويُذكَر عن النبيﷺ: أن رجلاً قصَّ عليه

رؤياه فقال ﷺ: ﴿خيرًا رأيت، وخيرًا يكون﴾. وفي رواية: ﴿خيرًا تلقاه، وشرًا تُوْقاه. خيرًا لنا، وشرًا على أعدائنا، والحمد لله رب العالمين﴾.

الفصل السادس

﴿ في أذكار الخروج من المنزل ﴾

في سنن عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: ﴿**من قال يعني إذا خرج من بيته باسم الله، توكلت على الله، ولا حول ولا قوة إلاّ بالله، يقال له: كُفيتَ ورُقيتَ وهُدِيتَ، وتنحَّى عنه الشيطان فيقول لشيطان آخر: كيف لك برجل قد هُدِيَ وكُفي ووقيَ؟**﴾ وفي مسند الإمام أحمد: ﴿**باسم الله آمنت بالله، اعتصمت بالله، توكلت على الله، ولا حول ولا قوة إلاّ بالله**﴾ حديث حسن. وفي السنن الأربع عن أم سلمة قالت: ما خرج رسول الله ﷺ من بيتي إلاّ رفع طرفه إلى السماء فقال: ﴿**اللّهمّ إني أعوذ بك أن أَضلَّ أو أُضل، أو أَذل**

أو أذل، أو أَظلم أو أُظلم، أو أُجهل أَو يُجهل عليَّ﴾ قال الترمذي حديث حسن صحيح.

الفصل السابع

في أذكار دخول المنزل

وفي صحيح مسلم عن جابر قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: ﴿**إذا دخل الرجل بيته فذكر الله تعالى عند دخوله وعند طعامه قال الشيطان: لا مبيت لكم ولا عشاء، وإذا دخل فلم يذكر الله تعالى عند دخوله قال الشيطان: أدركتم المبيت، فإذا لم يذكر الله تعالى عند طعامه قال: أدركتم المبيت والعشاء**﴾. وفي سنن أبي داود عن أبي مالك الأشعري قال: قال رسول الله ﷺ: ﴿**إذا وَلَجَ الرجل بيته فليقل: اللّهمّ إني أسألك خير المولَج وخير المخرج، باسم الله ولجنا، وباسم الله خرجنا، وعلى الله ربنا توكلنا. ثم ليسلم على أهله**﴾. وفي الترمذي عن أنس قال رسول الله ﷺ: ﴿**يا**

بني إذا دخلت على أهلك فسلِّم تكن بركةً عليك وعلى أهل بيتك﴾. وقال الترمذي: حديث حسن صحيح.

الفصل الثامن

﴿ في أذكار دخول المسجد والخروج منه ﴾

في صحيح مسلم عن أبي حميد قال: قال رسول اللهﷺ: ﴿**إذا دخل أحدكم إلى مسجد فليسلم على النبيﷺ وليقل: اللّهمّ افتَحْ لي أبواب رحمتك. وإذا خرج فليقل: اللهم إني أسألك من فضلك**﴾. وفي سنن أبي داود عن عبد الله بن عمرو عن النبيﷺ أنه دخل المسجد قال: ﴿**أعوذ بالله العظيم، وبوجهه الكريم، وسلطانه القديم، من الشيطان الرجيم**﴾. قال فإذا قال ذلك قال الشيطان: حُفِظَ مِني سائر اليوم.

في أذكار الأذان

في الصحيحين عن أبي سعيد قال: قال رسول اللهﷺ: ﴿**إذا سمعتم النداء فقولوا مثل ما يقول المؤذن**﴾ وفي صحيح مسلم عن عبد الله بن عمرو أنه سمع رسول اللهﷺ يقول: ﴿**إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول، ثم صلوا عليّ، فإنه من صلى عليَّ صلاة صلى الله عليه بها عشرًا، ثم سلوا الله لي الوسيلة فإنها منزلة في الجنة لا تنبغي إلاّ لعبد من عباد الله، وأرجوا أن أكون أنا هو، فمن سأل لي الوسيلة حلَّت له الشفاعة**﴾. وفي صحيح مسلم عن عمر بن الخطاب قال: قال رسول اللهﷺ: ﴿**إذا قال المؤذن: الله أكبر، الله أكبر، فقال أحدكم: الله أكبر الله أكبر، ثم قال: أشهد أن لا إله إلاّ الله، فقال: أشهد أن لا إله إلاّ الله، ثم قال: أشهد أن محمدًا رسول الله قال: أشهد أن محمدًا رسول الله، ثم**

قال: حي على الصلاة قال: لا حول ولا قوة إلاّ بالله ثم قال: حي على الفلاح قال: لا حول ولا قوة إلاّ بالله، ثم قال: الله أكبر الله أكبر قال: الله أكبر الله أكبر، ثم قال: لا إله إلاّ الله قال: لا إله إلاّ الله من قلبه: دخل الجنة﴾. وفي صحيح البخاري: عن جابر أن رسول اللهﷺ قال: ﴿من قال حين يسمع النداء: اللّهمّ رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آت محمدًا الوسيلة والفضيلة وابْعَثْهُ مقامًا محمودًا الذي وعدته: حلَّت له شفاعتي يوم القيامة﴾.

وفي سنن أبي داود عن عبد الله بن عمرو قال: يا رسول الله إن المؤذنين يفضلوننا. فقال رسول اللهﷺ: ﴿قل كما يقولون، فإذا انتهيت فسل تُعطَهْ﴾ وفي الترمذي عن أنس قال: قال رسول اللهﷺ:

﴿الدعاء لا يرد بين الآذان والإقامة﴾.

قالوا: فماذا نقول يا رسول الله؟ قال ﷺ :

﴿سلوا الله العافية في الدنيا والآخرة﴾

قال الترمذي: حديث حسن صحيح. وفي سنن أبي داود عن سهل بن سعد قال: قال رسول الله ﷺ: ﴿**اثنتان لا**

تُرَدّان –أو قَلَّما تُردّان–: الدعاء عند النداء، وعند البأس حين يُلحِمُ بعضُهم بعضًا﴾.

وفي سنن أبي داود عن أن أم سلمة قالت: علمني رسول اللهﷺ أن أقول عند المغرب: ﴿**اللّهمّ هذا إقبال ليلك وإدبار نهارك، وأصوات دُعاتك، وحضور صلواتك، فاغفر لي**﴾ وفي سنن أبي داود عند بعض أصحاب النبيﷺ : «أن بلالاً أخذ في الإقامة، فلما أن قال: قد قامت الصلاة» قال النبيﷺ : ﴿**أقامها الله وأدامها**﴾.

فهذه خمس سنن في الآذان: إجابتُه، وقول: رضيت بالله ربًا وبالإسلام دينًا وبمحمدﷺ رسولاً حين يسمعُ التشهدَ، وسؤال الله تعالى لرسولهﷺ الوسيلة والفضيلة، والصلاة عليهﷺ ، والدعاء لنفسه ما شاء. وعن سعد بن أبي وقاص عن رسول اللهﷺ قال: ﴿**من قال حين يسمع المؤذن: وأنا أشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له،**

وأن محمدًا عبده ورسوله، رضيت بالله ربًا، وبالإسلام دينًا، وبمحمد ﷺ رسولاً، غفر الله له ذنوبه﴾.

الفصل العاشر

في أذكار الاستفتاح للصلاة

وفي الصحيحين: أن النبي ﷺ كان يقول في استفتاحه: ﴿اللّهم باعد بيني وبين خطاياي كما باعدت بين المشرق والمغرب، اللّهمّ نقِّني من خطاياي كما يُنقَّي الثوبُ الأبيض من الدَّنس، اللّهمّ اغسلني من خطاياي بالماء والثلج والبردِ﴾. وفي سنن أبي داود عن جبير بن مطعم: أنه رأى رسول الله ﷺ يصلي صلاة فقال: ﴿الله أكبر كبيرًا والحمد لله كثيرًا، وسبحان الله بكرة وأصيلا -ثلاثًا- أعوذ بالله من الشيطان الرجيم من نفخه ونفثه وهمزه﴾ قال: نفثُهُ الشِّعرُ، ونفْخُهُ وهَمْزُه: الموتَةُ.

وفي السنن الأربعة عن عائشة رضي الله عنها وأبي سعيد وغيرهما:

أن النبي ﷺ كان إذا استفتح الصلاة قال: ﴿**سبحانك اللهم وبحمدك، وتبارك اسمك، وتعالى جدُّك ولا إله غيرك**﴾ وهو في صحيح مسلم عن عمر موقوف عليه. وفي صحيح مسلم عن علي بن أبي طالب قال: كان رسول الله ﷺ إذا قام إلى الصلاة قال: ﴿**وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرضَ حنيفاً وما أنا من المشركين، إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين، لا شريك له، وبذلك أُمرت وأنا من المسلمين، اللّهمّ أنت الملِك لا إله إلاّ أنت، أنت ربي وأنا عبدك، ظلمت نفسي، واعترفت بذنبي، فاغفر لي ذنوبي جميعًا إنه لا يغفر الذنوب إلاّ أنت، واهدني لأحسن الأخلاق لا يهدي لأحسنها إلاّ أنت، واصرف عني سيئها لا يصرف عني سيئها إلاّ أنت، لبيك وسعديك، والخير كله في يديك، والشر ليس إليك، أنا بك وإليك، تباركت وتعاليت، أستغفرك وأتوب إليك**﴾ وكان

إذا ركع يقول في ركوعه: ﴿**اللّهمّ لك ركعت، وبك آمنت، ولك أسلمت، خشع لك سمعي وبصري، ومخي وعظمي وعصبي**﴾ وإذا رفع رأسه من الركوع يقول: ﴿**سمع الله لمن حمده، ربنا ولك الحمد ملء السموات، وملء الأرض، وملء ما بينهما، وملء ما شئت من شيء بعد**﴾. وإذا سجد يقول في سجوده: ﴿**اللّهمّ لك سجدت، وبك آمنت، ولك أسلمت، سجد وجهي للذي خلقه وصوره، وشق سمعه وبصره، تبارك الله أحسن الخالقين**﴾ وكان آخر ما يقول بين التشهد والتسليم: ﴿**اللّهمّ اغفر لي ما قدمت وما أخرت، وما أسررت وما أعلنت، وما أسرفت وما أنت أعلم به مني، إنّك أنت المقدّم وأنت المؤخّر لا إله إلاّ أنت**﴾.

وفي صحيح مسلم عن عائشة رضي الله عنها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفتح صلاته إذا قام من الليل: ﴿**اللّهمّ رب جبريل وميكائيل وإسرافيل، فاطر السموات والأرض، عالم الغيب والشهادة:**

أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون، اهدني لما اختُلِفَ فيه من الحق بإذنك، إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم﴾. وفي الصحيحين عن أبن عباس قال: كان رسول الله ﷺ يقول إذا قام إلى الصلاة من جوف الليل: ﴿اللّهمّ لك الحمد: أنت نور السموات والأرض ومن فيهن، ولك الحمد: أنت قيَّامُ السموات والأرض ومن فيهن، ولك الحمد: أنت رب السموات والأرض ومن فيهن، ولك الحمد: أنت الحق، ووعدك الحق، وقولك الحق، ولقاؤك حق، والجنة حق، والنار حق، والنبيون حق، ومحمد حق، والساعة حق. اللهم لك أسلمت، وبك آمنت، وعليك توكلت، وإليك أنبت، وبك خاصمت، وإليك حاكمت، فاغفر لي ما قدّمتُ وما أخرتُ، وما أسررتُ وما أعلنتُ، أنت إلهي لا إله إلاّ أنت﴾.

في ذكر الركوع والسجود والفصل بينهما وبين السجدتين

في السنن الأربعة عن حذيفة رضي الله تعالى عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول إذا ركع: ﴿**سبحان ربّي العظيم**﴾ ثلاث مرات، وإذا سجد قال ﷺ: ﴿**سبحان ربّي الأعلى**﴾ ثلاث مرات. وفيه حديث علي رضي الله عنه وقد سبق في الفَصلِ قبله بطوله. وفي الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ يكثر أن يقول في ركوعه وسجوده ﴿**سبحانك اللّهمّ ربنا وبحمدك، اللّهمّ اغفر لي**﴾ وفي صحيح مسلم عنها: كان رسول الله ﷺ يقول في ركوعه وسجوده: ﴿**سُبُّوح قُدُّوس ربُّ الملائكة والروح**﴾ وفي سنن أبي داود عن عوف بن مالك رضي الله عنه أن النبي ﷺ كان يقول في ركوعه وسجوده: ﴿**سبحان ذي الجبروت والملكوت**

والكبرياء والعظمة﴾. وفي صحيح مسلم عن أبي سعيد رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ إذا رفع رأسه من الركوع قال: ﴿**اللّهمّ ربنا لك الحمد، ملء السموات وملء الأرض، وملء ما بينهما، وملء ما شئت من شيء بعد، أهلَ الثناء والمجد، أحق ما قال العبد، وكلنا لك عبد، لا مانع لما أعطيتَ، ولا معطي لما منعتَ، ولا ينفع ذا الجدِّ منك الجدُّ**﴾. وفي صحيح البخاري عن رفاعة بن رافع قال، كنا نصلي يومًا وراء النبي ﷺ فلما رفع رأسه من الركعة قال ﷺ : ﴿**سمع الله لمن حمدهُ**﴾ فقال رجل من ورائه: ربنا ولك الحمد حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه. فلما انصرف قال ﷺ : ﴿**من المتكلم**﴾؟ قال: أنا يا رسول الله. قال: ﴿**لقد رأيتُ بضعة وثلاثين ملكًا يبتدرونها أيهم يكتبها أول؟**﴾. وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ﴿**أقرب ما يكون العبد من ربه وهو**

ساجد، فأكثروا الدعاء﴾ وعنه أن رسول اللهﷺ كان يقول في سجوده: ﴿**اللّهمّ اغفر لي ذنبي كله، دقّه وجله، وعلانيته وسره﴾** وقالت عائشة رضي الله عنها: افتقدت النبيﷺ ذات ليلة، فالتمسته فوقعت يدي على بطن قدميه وهو في المسجد وهما منصوبتان وهو يقول: ﴿**اللّهمّ إني أعوذ برضاك من سخطك، وبمعافاتك من عقوبتك، وأعوذ بك منك، لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك﴾** روى مسلم هذه الأحاديث. وفي سنن أبي داود عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: كان رسول اللهﷺ يقول في السجدتين ﴿**اللهم أغفر لي وارحمني واهدني واجبرني وعافني وارزقني﴾**. وفي السنن أيضًا عن حذيفة رضي الله عنه أن رسول اللهﷺ كان يقول بين السجدتين ﴿**ربِّ اغفر لي ربِّ اغفر لي﴾**.

في أدعية الصلاة بعد التشهّد

في الصحيحين عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: **«إذا فرغ أحدكم من التشهد فليتعوّذْ بالله من أربع: من عذاب القبر، ومن عذاب جهنم، ومن فتنة المحيا والممات، ومن شر فتنة المسيح الدجّال»**. وفيها أيضًا عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ كان يدعو في الصلاة: **«اللّهمّ إني أعوذ بك من عذاب القبر، وأعوذ بك من فتنة المسيح الدجّال، وأعوذ بك من فتنة المحيا والممات. اللّهمّ إني أعوذ بك من المأثم والمغرم»** فقال قائل: ما أكثر ما تستعيذ من المغرم؟ فقال: **«إن الرجل إذا غرم حدّث فكذب ووعد فأخلف»** وقد تقدم في الصحيحين أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه قال لرسول الله ﷺ: علمني دعاء أدعو به في صلاتي؟ فقال ﷺ: **«قل: اللّهمّ إني ظلمت نفسي ظلمًا كثيرًا ولا**

يغفر الذنوب إلاّ أنت. فاغفر لي مغفرة من عندك، وارحمني إنك أنت الغفور الرحيم﴾. وفي صحيح مسلم من حديث علي رضي الله عنه في صفة صلاة رسول الله ﷺ : أنه كان ﷺ يقول من آخر ما يقول بين التشهد والتسليم: ﴿**اللّهمّ اغفر لي ما قدّمتُ وما أخّرتُ، وما أسررتُ وما أعلنتُ وما أسرفتُ، وما أنت أعلمُ به مني، أنت المقدّمُ، وأنت المؤخّرُ، لا إله إلاّ أنت**﴾ وفي سنن أبي داود أن النبي ﷺ قال لرجل: ﴿**كيف تقول في الصلاة**﴾؟ قال: أتشهد وأقول: اللهم إني أسألك الجنة وأعوذ بك من النار. أما إني لا أحسن دندنتكَ ولا دندنةَ معاذ؟ فقال النبي ﷺ : ﴿**حولها ندندن**﴾.

وفي المسند والسنن عن شداد بن أوس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ كان يقول في صلاته: ﴿**اللّهمّ إني أسألك الثبات في الأمر، والعزيمة على الرشد، وأسألك شكر نعمتك،**

وحسن عبادتك، وأسألك قلبًا سليمًا، ولسانًا صادقًا، وأسألك من خير ما تعلم، وأعوذ بك من شر ما تعلم، وأستغفرك لما تعلم، إنك أنت علام الغيوب﴾.

وفي سنن النسائي أن عمار بن ياسر صلى صلاة ودعا فيها بدعوات، وقال: سمعتهن من رسول الله ﷺ: ﴿**اللّهمّ بعلمك الغيب، وقدرتك على الخلق، أحيني إذا علمت الحياة خيرًا لي، وتوفني إذا علمت الوفاة خيرًا لي، اللّهمّ إني أسألك خشيتك في الغيب والشهادة، وأسألك كلمة الحق في الغضب والرضى، وأسألك القصد في الفقر والغنى، وأسألك نعيمًا لا ينفذ، وأسألك قرة عين لا تنقطع، وأسألك الرضى بعد القضاء، وأسألك بردَ العيش بعد الموت، وأسألك لذّة النظر إلى وجهك الكريم، والشوق إلى لقائك في غير ضرَّاء مضرَّة، ولا فتنة مضلة، اللّهمّ زيّنا بزينة الإيمان واجعلنا هُداةً مهتدين**﴾.

في الأذكار المشروعة بعد السّلام وهو أدبار السجود

وفي صحيح مسلم عن ثوبان رضي الله عنه قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا انصرف من صلاته استغفر الله ثلاثًا وقال: ﴿**اللّهمّ أنت السلام، ومنك السلام، تباركت يا ذا الجلال والإكرام**﴾ وفي الصحيحين عن المغيرة بن شعبة: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا فرغ من الصلاة قال: ﴿**لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد، وهو على كل شيء قدير، اللهم لا مانعَ لما أعطيتَ ولا معطي لما منعت، ولا ينفع ذا الجد منك الجد**﴾.

وفي صحيح مسلم عن عبد الله بن الزبير رضي تعالى عنهما: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يهلّل دبر كل صلاة حين يسلم بهؤلاء الكلمات: ﴿لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد، وهو على كل شيء قدير، لا حول ولا قوة

إلاّ بالله، لا إله إلاّ الله، لا نعبد إلاّ إياه، له النعمة وله الفضل، وله الثناء الحسن، لا إله إلاّ الله مخلصين له الدين ولو كره الكافرون﴾.

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ قال: ﴿من سبّح الله في دبر كل صلاة ثلاثًا وثلاثين، وكبَّر الله ثلاثًا وثلاثين، وحمد الله ثلاثًا وثلاثين، وقال تمام المائة: لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد، وهو على كل شيء قدير: غُفِرت خطاياه وإن كانت مثل زبد البحر﴾. وفي السنن عن عبد الله بن عمر عن النبي ﷺ قال: ﴿خصلتان أو خلَّتان لا يحافظ عليهما عبد مسلم إلاّ دخل الجنة، هما يسير، ومن يعمل بها قليل: يسبح الله في دبر كل صلاة عشرًا، ويحمده عشرًا، ويكبره عشرًا، فذلك خمسون ومائة باللسان، وألف وخمسمائة في الميزان. ويكبر أربعًا وثلاثين إذا أخذ مضجعه، ويحمد ثلاثًا وثلاثين، ويسبح ثلاثًا وثلاثين فذلك مائة بالسان وألف في الميزان﴾. قال: ولقد

رأيت رسول اللهﷺ يعقدها بيده. قالوا: يا رسول الله، كيف هما يسير ومن يعمل بهما قليل؟ قال: ﴿يأتي أحدكم يعني الشيطان في منامه فينوِّمه قبل أن يقولهما، ويأتيه في صلاته فيذكّره حاجتة قبل أن يقولهما﴾. وفي السنن عن عقبة ابن عامر قال: أمرني رسول اللهﷺ أن أقرأ بالمعوذتين دبر كل صلاة. وفي النسائي الكبير عن أبي هريرة قال: قال رسول اللهﷺ: ﴿من قرأ آية الكرسي عقب كل صلاة لم يمنعه من دخول الجنة إلاّ أن يموت﴾ يعني: لم يكنْ بينه وبين دخول الجنة إلاّ الموت. وبلغني عن شيخ الإسلام ابن تيمية، قال: ما تركتُه عقيب كل صلاة إلاّ نسيانًا أو نحوه.

قلت: وقد بالغ أبو الفرج ابن الجوزي في إدخاله هذا الحديث في «الموضوعات» وقال شيخنا أبو الحجّاج المزّي رحمه الله: إسناده على شريط البخاري

في ذكر التشهد

في الصحيحين عن عبد الله بن مسعود قال: علَّمني رسول اللهﷺ التشهد وكفّي بين كفيه كما يعلمني السورة من القرآن: ﴿التحيات لله، والصلوات والطيبات، السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته، السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين، أشهد أن لا إله إلاّ الله وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله﴾. وفي صحيح مسلم عن ابن عباس قال: كان رسول اللهﷺ يعلمنا التشهد كما يعلمنا السورة من القرآن وكان يقول: ﴿التحيات المباركات، الصلوات الطيبات لله، السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته، السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين، أشهد أن لا إله إلاّ الله، وأن محمدًا رسول الله﴾. وفي صحيح مسلم عن أبي موسى أن النبيﷺ علمهم التشهد: ﴿التحيات الطيبات والصلوات لله. السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته، السلام

علينا وعلى عباد الله الصالحين، أشهد أن لا إله إلاّ الله، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله﴾. وروى أبو داود عن عمر بن الخطاب عن رسول الله ﷺ في التشهد: ﴿التحيات لله الصلوات الطيبات لله، السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته، السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين. أشهد أن لا إله إلاّ الله، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله﴾.

الفصل الخامس عشر

في ذكر الصلاة على النبي

في الصحيحين عن كعب بن عجرة رضي الله عنه قال: خرج علينا رسول الله ﷺ فقلنا: قد عرفنا كيف نسلّم عليك، فكيف نصلي عليك؟ قال ﷺ ﴿قولوا: اللّهمّ صلّ على محمد، وعلى آل محمد، كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد، اللّهمّ بارك على محمد وعلى آل محمد، كما باركتَ على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد﴾. وفي الصحيحين أيضًا عن أبي حميد الساعدي أنهم قالوا: يا

رسول الله، كيف نصلي عليك؟ قال: ﴿قولوا: اللهم صلّ على محمد وعلى أزواجه وذريته، كما صليت على آل إبراهيم، وبارك على محمد وعلى أزواجه وذريته، كما باركت على آل إبراهيم، إنك حميد مجيد﴾.

الفصل السادس عشر

في الإستخارة

في صحيح البخاري عن جابر قال: كان رسول الله ﷺ يعلّمنا الاستخارة في الأمر كما يعلّمنا السورة من القرآن، يقول: ﴿إذا همَّ أحدُكم بالأمر فليركع ركعتين من غير الفريضة، ثم ليقل: **اللّهمّ إني أستخيرك بعلمك، وأستقدرك بقدرتك، وأسألك من فضلك العظيم، فإنك تقدر ولا أقدِر، وتعلم ولا أعلم، وأنت علاَّم الغيوب، اللّهمّ إن كنت تعلم أن هذا الأمر ويسمِّي حاجته خير لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري فاقدره لي، ويسِّرهُ لي، ثم بارك لي فيه. وإن كنت**

تعلم أن هذا الأمر شر لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري فاصرفه عني وأصرفني عنه، واقدُر لي الخير حيث كان، ثم أرضني به}. وفي مسند الإمام أحمد من حديث سعد بن أبي وقاص عن النبي ﷺ أنه قال: **{من سعادة ابن آدم استخارة الله، ومن سعادة ابن آدم رضاه بما قضى الله، ومن شقوة ابن آدم تركه استخارة الله، ومن شقوة ابن آدم سخَطُه بما قضى الله}**.

وكان شيخ الإسلام ابن تيمية رضي الله عنه يقول: ما ندم من استخار الخالق، وشاور المخلوقين، وثبت في أمره. وقد قال سبحانه وتعالى: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللّهِ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ {آل عمران/159}﴾ وقال قتادة: ما تشاور قوم يبتغون وجه الله إلاّ هُدُوا إلى أرشد أمرهم.

في أذكار الكرب والغم والحزن والهم

وفي صحيح البخاري عن ابن عباس: أن رسول الله ﷺ كان يقول عند الكرب: ﴿لا إله إلاّ الله العظيم الحليم، لا إله إلاّ الله رب العرش العظيم، لا إله إلاّ الله رب السموات، ورب الأرض، رب العرش الكريم﴾ وفي الترمذي عن أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ كان إذا حزبهُ أمرٌ قال: ﴿يا حيُّ يا قيوم برحمتك أستغيث﴾ وفيه أيضًا عن أبي هريرة أن النبي ﷺ كان إذا أهمه الأمر رفع رأسه إلى السماء، فقال: ﴿سبحان الله العظيم﴾، وإذا اجتهد في الدعاء قال: ﴿يا حي يا قيوم﴾.

وفي سنن أبي داود عن أبي بكر: أن رسول الله ﷺ قال: ﴿دَعَوَاتُ الْمَكْرُوبِ: اللَّهُمّ رَحْمَتَكَ أَرْجُو، فَلاَ تَكِلْنِي إِلَى نَفْسِي طَرْفَةَ عَيْنٍ، وَأَصْلِحْ لِي شَأْنِي كُلَّهُ، لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ﴾ وفي السنن أيضًا عن أسماء بنت عميس قالت: قال رسول

اللهﷺ: ﴿ألا أعلمك كلمات تقولينهن عند الكرب أو في الكرب؟ الله الله ربي لا أشرك به شيئًا﴾ وفي رواية أنها تقال سبع مرات. وفي الترمذي عن سعد بن أبي وقاص قال: قال رسول اللهﷺ: ﴿دَعْوَةُ ذِي النُّونِ إِذْ دَعَا وَهُوَ فِي بَطْنِ الحُوتِ:

﴿لَّا إِلَهَ إِلَّا أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ

{الأنبياء/87}﴾

لم يدعُ بها رجل مسلم في شيء قط إلاّ إستجاب الله له﴾ وفي رواية: ﴿إني لأعلم كلمة لا يقولها مكروب إلاّ فرّج الله عنه: كلمة أخي يونس عليه السلام﴾.

وفي مسند الإمام أحمد وصحيح ابن حبان عن عبد الله بن مسعود عن النبي ﷺ قال: ﴿ما أصاب عبدًا همٌّ ولا حزن فقال: اللّهمّ إني عبدك ابن عبدك ابن أمتك، ناصيتي بيدك، ماض فيَّ حكمتك، عدل فيّ قضاؤك، أسألك بكلّ اسم هو لك سميت به نفسك، أو أنزلته في كتابك، أو علمته أحدًا من خلقك، أو استأثرتَ به في علم الغيب عندك: أن تجعل القرآن ربيع قلبي، ونور بصري، وجلاء حزني، وذهاب همي، إلاّ أذهب الله همّه وحزنه، وأبدله مكانه فَرَجًا﴾.

الفصل الثامن عشر

﴿ في الأذكار الجالبة للرزق الدافعة للضيق والأذى ﴾

قال الله سبحانه وتعالى عن نبيه نوح عليه السلام: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا {نوح/10} يُرْسِلِ السَّمَاء عَلَيْكُم مِّدْرَارًا {نوح/11} وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَارًا {نوح/12}﴾ وفي بعض المسانيد: عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ﴿من لزم الاستغفار جعل الله له من كل هَمٍّ فَرجًا، ومن كل ضيق مخرجًا، ورزقه من حيث لا يحتسب﴾. وذكر أبو عمر بن عبد البر في "التمهيد" له حديثًا مرفوعًا إلى النبي صلى الله عليه وسلم: ﴿من قرأ سورة الواقعة كل يوم لم تُصبه فاقة أبدًا﴾.

الفصل التاسع عشر

﴿ في الذكر عند لقاء العدوّ ومن يخاف سلطانًا وغيره ﴾

في سنن أبي داود والنسائي عن أبي موسى أن

النبيﷺ كان إذا خاف قومًا قال: ﴿**اللّهم إنّا نجعلك في نحورهم، ونعوذ بك من شُرورهم**﴾. ويذكر عن النبيﷺ أنه كان يقول عند لقاء العدو: ﴿**اللّهم أنت عَضُدي وأنت ناصري، وبك أقاتل**﴾. وعنهﷺ أنّه كان في غزوة فقال: ﴿**يا مالك يوم الدين إياك أعبد وإياك أستعين**﴾ قال أنس: فلقد رأيت الرجال تصرعها الملائكة من بين يديها ومن خلفها. وعن ابن عمر قال: قال رسول اللهﷺ: ﴿**إذا خفت سلطانًا أو غيره فقل: لا إله إلاّ الله الحليم الكريم، سبحان الله رب السموات السبع ورب العرش العظيم، لا إله إلاّ أنت عزّ جارك، وجلّ ثناؤك**﴾. وفي صحيح البخاري عن ابن عباس قال: حسبنا الله ونعم الوكيل: قالها إبراهيمﷺ حين أُلقيَ في النار. وقالها محمدﷺ حين قال له الناس: ﴿إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ {آل عمران/173}﴾.

في الأذكار التي تطرد الشيطان

قد تقدم أن: ﴿من قرأ آية الكرسي عند نومه لم يقربه شيطان﴾ وأن: ﴿من قرأ الآيتين من آخر سورة البقرة كفتاه﴾. و﴿من قال في يوم مائة مرة: لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، كانت له حرزًا من الشيطان يومه كله﴾. وقد قال تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ {المؤمنون/97} وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ {المؤمنون/98}﴾. وكان النبي ﷺ يقول: ﴿أعوذ بالله السميع العليم، من الشيطان الرجيم، من همزه ونفخه ونفثه﴾ وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ {فصلت/36}﴾. الأذان يطرد الشيطان كما تقدم. وعن زيد بن أسلم: أنه ولي معادن فذكروا كثرة الجن فأمرهم أن يؤذّنوا كل وقت ويكثروا من ذلك، فلم يكونوا يرون بعد ذلك شيئًا. وفي صحيح مسلم

عن عثمان بن أبي العاص رضي الله عنه أنه قال: يا رسول الله، إن الشيطان حال بيني وبين صلاتي وبين قراءتي يلبّسها عليَّ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ذاك شيطان يقال له خنزَبُ، فإذا أحسسته فتعوّذ بالله منه، واتفُل عن يسارك ثلاثًا» ففعلت ذلك، فأذهبه الله عزّ وجلّ عني. وأمر ابن عباس رجلاً وجد في نفسه شيئًا من الوسوسة والشك أن يقرأ: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ {الحديد/3}﴾. ومن أعظم ما يندفع به شرُّه قراءةُ المعوذتين وأول الصافات، وآخر الحشر.

الفصل الثاني والعشرون

في الذكر عند المصيبة

قال الله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ {البقرة/155} الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعونَ {البقرة/156} أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ

{البقرة/157}﴾ ويذكر عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿لِيَسْتَرْجِعْ أَحَدُكُمْ فِي كُلِّ شَيْءٍ، حَتّى في شِسْعِ نَعْلِهِ فإنّها مِنَ المَصَائِبِ﴾.

وقالت أم سلمة رضي الله عنها: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ﴿**ما من عبد تصيبه مصيبة فيقول: إنّا لله وإنّا إليه راجعون، اللّهمّ أجُرني في مصيبتي واخْلِفْ لي خيرًا منها، إلاّ آجره الله تعالى في مصيبته وأخلف له خيرًا منها**﴾.

قالت: فلما توفي أبو سلمة قلت كما أمرني رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخلف الله لي خيرًا منه: رسولَ الله صلى الله عليه وسلم.

وروي أيضًا عنها: قالت دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على أبي سلمة وقد شُقَّ بصره، فأغمضه ثم قال: ﴿إن الروح إذا قبض تبعه البصر﴾ فضج ناس من أهله! فقال: ﴿لا تدعوا علي أنفسكم إلاّ بخير، فإن الملائكة يؤمِّنون على ما تقولون﴾ ثم قال: ﴿اللّهم اغفر لأبي سلمة وارفع درجته في المهديين،

واخلُفْهُ في عقبه في الغابرين، واغفر لنا وله يا رب العالمين، وافسَحْ له في قبره، ونوّر له فيه﴾.

الفصل الثالث والعشرون

﴿ في الذكر الذي يُدفع به الدّين ويُرجى قضاؤه ﴾

وفي الترمذي عن علي رضي الله عنه . أن مكاتبًا جاءه فقال: إني عجزت عن كتابتي فأعِنّي، فقال: إلاّ أعلمك كلمات علّمَنْيهنَّ رسول الله ﷺ لو كان عليك مثل جبل أُحد دينًا إلاّ أداه الله عنك؟ قل ﴿**اللّهمّ اكفِني بحلالك عن حرامك، وأغنني بفضلك عمّن سواك**﴾ قال الترمذي: حديث حسن.

الفصل الرابع والعشرون

﴿ في الذكر الذي يُرقَى به من اللّسعة واللّدغة وغيرهما ﴾

في صحيح البخاري: عن عبد الله بن عباس رضي الله تعالى عنهما، قال: كان رسول الله ﷺ يعوّذ الحسن والحسين، رضي الله عنهما، ويقول: ﴿**إن أباكما إبراهيمَ كان يعوّذ بها**

إسماعيل وإسحاق: أعيذكما بكلمات الله التامَّة، من كل شيطان وهامّة، ومن كل عين لامّة﴾. وفي الصحيحين عن أبي سعيد الخدري ﷺ : أن رجلاً من أصحاب النبي ﷺ رقى لديغًا بفاتحة الكتاب: فجعل يتفل عليه ويقرأ: ﴿الْحَمْدُ لِلّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ {الفاتحة/2}﴾. فكأنّما نَشِط من عِقال، فانطلق يمشي وما به قَلَبَهُ الحديث. وفي الصحيحين: عن عائشة ﷺ أن النبي ﷺ كان إذا اشتكى الإنسان الشيء، أو كانت قرحة به أو جرح، قال النبي ﷺ بإصبعه هكذا ووضع سفيان بن عيينة إصبعه بالأرض ثم رفعها وقال: ﴿باسم الله، تُربةُ أرضنا، بريقة بعضنا، يُشفى به سقيمنا، بإذن ربنا﴾. وفي الصحيحين أيضًا عنها ﷺ أن النبي ﷺ كان يعوذّ بعض أهله يمسح بيده اليمنى ويقول: ﴿اللّهمّ ربَّ الناس، أذهب الباس، وأشفِ أنت الشافي، لا شفاء إلاّ شفاؤك، شفاء لا يغادر سقمًا﴾. وفي صحيح مسلم

عن عثمان بن أبي العاص أنه شكا إلى رسول الله وجعًا يجده في جسده منذ أسلم، فقال النبي ﷺ: ﴿**ضع يدك على الذي تألم من جسدك وقل: باسم الله «ثلاثًا» وقل سبع مرات: أعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما أجد وما أحاذر**﴾.

وفي السنن عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: ﴿من عاد مريضًا لم يحضُر أجله، فقال عنده سبع مرات: أسأل الله العظيم رب العرش العظيم. أن يشفيك ويعافيك، إلاّ عافاه الله تعالى﴾. وفي سنن أبي داود والنسائي عن أبي الدرداء قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ﴿من اشتكى منكم أو اشتكى أخ له فليقل: ربّنا الله الذي في السماء، تقدّس اسمك، أمرك في السماء والأرض، كما رحمتُك في السماء، فاجعل رحمتك في الأرض، اغفر لنا حَوبنا وخطايانا، أنت رب الطيبين، أنزل رحمةً من رحمتك وشفاءً من شفائك على هذا الوجع. فيبرأ﴾.

في ذكر دخول المقابر

في صحيح مسلم عن بُريدة قال: كان رسول الله ﷺ يعلمهم إذا خرجوا إلى المقابر أن يقول قائلهم: ﴿**السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون، نسأل الله لنا ولكم العافية**﴾. وفي سنن ابن ماجه عن عائشة رضي الله عنها: أنها فقدت النبي ﷺ فإذا هو بالبقيع فقال: ﴿**السلام عليكم دارَ قوم مؤمنين، أنتم لنا فرطٌ، وإنا بكم لاحقون، اللهم لا تحرمنا أجرهم، ولا تفتنَّا بعدهم**﴾.

في ذكر الاستسقاء

قال تعالى: ﴿اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا {نوح/10} يُرْسِلِ السَّمَاء عَلَيْكُم مِّدْرَارًا {نوح/11}﴾. عن جابر بن عبد الله قال: أتتِ النبي ﷺ بوَاكٍ، فقال: ﴿**اللّهمّ اسقنا غيثًا مغيثًا،**

مريئًا، مريعًا، نافعًا غير ضار، عاجلاً غير آجل﴾. فأطبقت عليهم السماء. وعن عائشة رضي الله عنها : شكا الناس إلى رسول الله ﷺ قحوط المطر، فأمر بمنبر فوضع له في المُصلَّى، ووعد الناس يومًا يخرجون فيه، فخرج رسول الله ﷺ حين بدا حاجب الشمس، فقعد على المنبر، فكبر وحمد الله عزّ وجلّ، ثم قال: ﴿**إِنَّكُمْ شَكَوْتُمْ جَدْبَ دِيَارِكُمْ وَاسْتِئْخَارَ الْمَطَرِ عَنْ إِبَّانِ زَمَانِهِ عَنْكُمْ، وَقَدْ أَمَرَكُمُ اللَّهُ عزّ وجلّ أَنْ تَدْعُوهُ وَوَعَدَكُمْ أَنْ يَسْتَجِيبَ لَكُمْ**﴾. ثم قال: ﴿الحمد الله رب العالمين، الرحمن الرحيم، مالك يوم الدين، لا إله إلاّ الله يفعل ما يريد، اللّهمّ أنت الله لا إله إلاّ أنت، أنت الغني ونحن الفقراء، أنزل علينا الغيث، واجعل ما أنزلت علينا قوة وبلاغًا إلى حين﴾ ثم رفع يده فلم يزل في الرفع حتى بدا بياض إبطه، ثم حوّل إلى الناس ظهره، وقلبَ أو حوَّل رداءه وهو رافع يديه، ثم أقبل على الناس، فنزل فصلى ركعتين،

فأنشأ الله عزّ وجلّ سحابه فرعدت وبَرقَتْ، ثم أمطرت بإذن الله تعالى، فلم يأت مسجده حتى سالت السيول، فلما رأى سرعتهم إلى الكنّ ضحك حتى بدت نواجذه وقال: ﴿أشهد أن الله على كل شيء قدير، وأني عبد الله ورسوله﴾. وفي سنن أبي داود عن عبد الله بن عمرو: كان رسول الله ﷺ إذا استسقى قال: ﴿اللهم اسقِ عبادك وبهائمك، وانشر رحمتك، وأحيي بلدك الميتَ﴾.

الفصل السابع والعشرون

في أذكار الريح إذا هاجت

قال أبو هريرة: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ﴿الريح من روح الله تعالى، تأتي بالرحمة وتأتي بالعذاب. فإذا رأيتموها فلا تسبُّوها، واسألوا الله من خيرها، واستعيذوا بالله من شرها﴾. رواه أبو داود. وفي صحيح مسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت كان النبي ﷺ إذا عصفت الريح قال: ﴿اللّهمّ إني أسألك خيرها وخير ما فيها، وخير ما أُرسلت

به، وأعوذ بك من شرها وشر ما أُرسلت به﴾. وفي سنن أبي داود عن عائشة أيضًا رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا رأى ناشئًا في أفق السماء ترك العمل وإن في صلاة ثم يقول: ﴿اللّهمّ إني أعوذ بك من شرها﴾ فإن مطرت قال: ﴿اللّهمّ صيبًا هنيئًا﴾ .

الفصل الثامن والعشرون

في الذكر عند الرعد

كان عبد الله بن الزبير رضي الله عنه إذا سمع الرعد ترك الحديث فقال: سبحان الذي ﴿وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلاَئِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ {الرعد/13}﴾. وعن عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا سمع صوت الرعد والصواعق قال: ﴿**اللّهمّ لا تقتلنا بغضبك، ولا تهلكنا بعذابك، وعافنا قبل ذلك**﴾ .

في الذكر عند نزول الغيث

في الصحيحين عن زيد بن خالد الجهني قال: صلى بنا رسول اللهﷺ صلاة الصبح بالحديبية في أثر سماء كانت من الليل، فلما انصرف أقبل على الناس فقال: ﴿**هل تدرون ماذا قال ربكم**﴾؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: قال: ﴿**أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر، فأما من قال: مُطِرْنَا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بي وكافر بالكواكب، وأما من قال: مُطرنا بنَوْءِ كذا وكذا، فذاك كافر بي مؤمن بالكواكب**﴾. وقد قيل: إن الدعاء عند نزول الغيث مستجاب. وفي صحيح البخاري عن عائشة رضي الله عنها أن النبيﷺ كان إذا رأى المطر قال: ﴿**صيّبًا نافعًا**﴾. وفي صحيح مسلم عن أنس رضي الله عنه قال: أصابنا ونحن مع رسول اللهﷺ مطر، فحسر رسول اللهﷺ ثوبه حتى أصابه

المطر، فقلنا يا رسول الله، لِمَ صنعت هذا؟ قال: ﴿**لأنه حديث عهد بربه**﴾.

الفصل الثلاثون

في الدعاء عند زيادة المطر والخوف منها

في الصحيحين عن أنس قال: دخل رجل المسجد يوم جمعة ورسول الله ﷺ قائم يخطب الناس فقال يا رسول الله، هلكت الأموال وانقطعت السبل، فادع الله يغيثنا. فرفع رسول الله ﷺ يديه ثم قال ﴿**اللّهمّ أغثنا، اللّهمّ أغثنا**﴾. قال أنس: والله ما نرى في السماء من سحاب ولا قزعة، وما بيننا سلع من بنيان ولا دار، فطلعت من ورائه سحابة مثل الترس فلما توسطت السماء انتشرت ثم أمطرت فلا والله ما رأينا الشمس ستًا، ثم دخل رجل من ذلك الباب في الجمعة المقبلة ورسول الله ﷺ قائم يخطب فاستقبله قائمًا، فقال: يا رسول الله هلكت الأموال، وانقطعت السبل، فادع الله

يُمسكها عنّا. فرفع رسول اللهﷺ يديه، ثم قال: ﴿**اللَّهُمّ حَوَالَيْنَا وَلَا عَلَيْنَا اللَّهُمّ عَلَى الْآكَامِ وَالظِّرَابِ وَبُطُونِ الْأَوْدِيَةِ وَمَنَابِتِ الشّجَرِ**﴾ . قال: فأقلعت، وخرجنا، نمشي في الشمس.

الفصل الحادي والثلاثون

في الذكر عند رؤية الهلال

عن عبد الله بن عمر قال: كان رسول اللهﷺ إذا رأى الهلال قال: {**الله أكبر، اللّهمّ أهِلَّهُ علينا بالأمن والإيمان، والسلامة والإسلام، والتوفيق لما تحب وترضى، ربُّنا وربُّك الله**}. وفي سنن أبي داود عن قتادة أنه بلغه أن نبي اللهﷺ كان إذا رأى الهلال قال: ﴿**هلال خير ورشد، هلال خير ورشد. آمنت بالله الذي خلقك**﴾ ثلاث مرات. ثم يقول: ﴿**الحمد لله الذي ذهب بشهر كذا وجاء بشهر كذا**﴾.

في الذكر للصائم وعند فطره

عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: ﴿**ثلاثةٌ لا ترد دعوتهم: الصائم حين يفطر، والإمام العادل، ودعوة المظلوم**﴾. رواه الترمذي، وقال: حديث حسن. وروى ابن ماجه عن ابن أبي مليكة عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ﴿**إن للصائم عند فِطره لدعوةً ما تردُّ**﴾ ويذكر عن النبي ﷺ أنه كان إذا أفطر قال ﴿**اللهم لك صمت وعلى رزقك أفطرت**﴾. ومن وجه آخر: ﴿**اللّهمّ لك صمنا وعلى رزقك أفطرنا، فتقبّل منّا إنّك أنت السميع العليم**﴾.

في أذكار السفر

روى الطبراني عن النبي ﷺ أنه قال: ﴿ما خلّف أحدٌ

عند أهله أفضلَ من ركعتين يركعهما عندهم حين يريد سفرًا﴾. وفي مسند الإمام أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبيﷺ أنه قال: ﴿من أراد سفرًا فليقل لمن يُخلِّف: أستودعكم الله الذي لا تضيع ودائعه﴾. وفي المسند أيضًا عن عمر عن النبيﷺ قال: ﴿إن الله إذا استُودِعَ شيئًا حفظه﴾. وقال سالم: كان ابن عمر يقول للرجل إذا سافرَا: ادنُ مني أودعك كما كان رسول اللهﷺ يودعنا، فيقول: ﴿أستودع الله دينَك وأمانتَك وخواتيمَ عملك﴾. ومن وجه آخر كان النبي إذا ودع رجلاً أخذ بيده فلا يدعها حتى يكون الرجل هو الذي يدع النبيﷺ. وذكر تمام الحديث. قال الترمذي حديث صحيح. وقال أنسرضي الله عنه: جاء رجل إلى النبيﷺ فقال: يا رسول الله، أريد سفرًا فزوّدني، فقال ﴿زوّدك الله التقوى﴾ قال زدني، قال: ﴿وغفر ذنبك﴾، قال: زدني، قال: ﴿ويسر لك الخير حيثما كنت﴾. وعن أبي هريرة أن رجلاً قال: يا رسول الله إني

أريد أن أسافر فأوصني، قال ﷺ: ﴿عليك بتقوى الله عزّ وجلّ، والتكبير على كل شَرَفٍ﴾. فلما ولّى الرجلُ قال ﷺ: ﴿اللّهمّ أطوي لَهُ البُعدَ، وهوّن عليه السفر﴾ قال الترمذي: حديث حسن.

الفصل الرابع والثلاثون

في ركوب الدّابة والنزول عنه

في صحيح مسلم عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: أن رسول الله ﷺ كان إذا استوى على بعيره خارجًا إلى سفر كبَّر ثلاثًا، ثم قال: ﴿سُبْحانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ {الزخرف/13} وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ {الزخرف/14}﴾ ﴿اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ فِي سَفَرِنَا هَذَا الْبِرَّ وَالتَّقْوَى، وَمِنَ الْعَمَلِ مَا تَرْضَى، اللَّهُمَّ هَوِّنْ عَلَيْنَا سَفَرَنَا هَذَا، وَاطْوِ عَنَّا بُعْدَهُ، اللَّهُمَّ أَنْتَ الصَّاحِبُ فِي السَّفَرِ، وَالْخَلِيفَةُ فِي الأَهْلِ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ وَعَثَاءِ السَّفَرِ وَكَآبَةِ الْمَنْظَرِ وَسُوءِ الْمُنْقَلَبِ فِي الْمَالِ وَالأَهْلِ﴾. وإذا رجع قالهن، وزاد فيهن: ﴿آيِبُونَ تَائِبُونَ عابِدُونَ

ساجِدُونَ لِرَبّنَا حَامِدُونَ﴾. وفي وجه آخر: وكان رسول اللهﷺ وأصحابه رضي الله عنهم إذا عَلَوا الثنايا كبروا، وإذا هبطوا سبَّحوا.

الفصل الخامس والثلاثون

في ذكر الرجوع من السفر

قال عبد الله بن عمر: كان رسول اللهﷺ إذا قفلَ من غزو أو حج أو اعتمر: يكبر على كل شَرَفٍ من الأرض ثلاث مرات، ثم يقول: ﴿لا إله إلاّ اللّه وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ المُلْك ولَهُ الحمْدُ، وَهُو على كلّ شَيءٍ قَدِيرٌ. آيبُونَ تَائِبُونَ عابدُونَ ساجِدُونَ لِرَبّنَا حَامِدُونَ. صدقَ اللّه وَعْدهُ، وَنَصر عبْده، وَهَزَمَ الأَحزَابَ وحْدَه﴾ رواه البخاري ومسلم.

الفصل السادس والثلاثون

في الذكر عند القرية أو البلدة إذا أراد دخولها

عن صهيب رضي الله عنه، أن النبيﷺ لم يَرَ قريةً يريدُ دخولها إلاّ قال حين يراها: ﴿اللَّهُمّ رَبّ السّمَوَاتِ السّبْعِ وَمَا

أَظْلَلْنَ ، وَرَبّ الأَرَضِينِ السّبْعِ وَمَا أَقْلَلْنَ، وَرَبّ الشّيَاطِينِ وَمَا أَضْلَلْنَ ، وَرَبّ الرّيَاحِ وَمَا ذَرَيْنَ، أَسْأَلُكَ خَيْرَ هَذِهِ الْقَرْيَةِ وَخَيْرَ أَهْلِهَا وخير ما فيها، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرّهَا وَشَرّ أَهْلِهَا وَشَرّ مَا فِيهَا ﴾. رواه النسائي.

الفصل السابع والثلاثون

في ذكر المنزل يريد نزوله

قالت خولة بنت حكيم: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ﴿من نزل منزلاً، ثم قال: أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق، لم يضرّه شيءٌ حتى يرتحل من منزله ذلك﴾ رواه مسلم. وعن عبد الله بن عمر قال: كان رسول الله ﷺ إذا سافر فأقبل الليلُ قال: ﴿يا أرضُ: ربي وربُّك الله، أعوذ بالله من شرّك وشر ما فيك، وشر ما خلق فيك، وشر ما يَدِبُّ عليك، وأعوذ بالله من أسد وأسْوَدَ، ومن الحية والعقرب، ومن ساكن البلد، ومن والد وما وَلَدَ﴾ رواه أبو داود.

في ذكر الطعام والشراب

قال سبحانه وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُواْ لِلّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ {البقرة/172}﴾ وقال عمر بن أبي سلمة رضي الله عنه: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

﴿ يا بُنيَّ،
سَمِّ الله تعالى،
وَكُلْ بِيَمِينِكَ،
وَكُلْ مِمَّا يَلِيكَ ﴾.

متفق عليه. وقالت عائشة رضي الله عنها: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

﴿إذا أكل أحدكم فليذكر اسمَ الله تعالى في أوله، فإن نسي أن

يذكر اسم الله تعالى في أوله فليقل: باسم الله أوله وآخره﴾. قال الترمذي: حديث حسن صحيح. وقال أمية بن مَخشيّ رضي الله عنه : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم جالسًا ورجل يأكل، فلم يسمّ حتى لم يبقَ من طعامه إلاّ لُقمةٌ، فلما رفعها إلى فيه قال: باسم الله أوله وآخره، فضحك النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال: ﴿**ما زال الشيطان يأكل معه، فلما ذكر اسم الله تعالى استقاء ما في بطنه**﴾. رواه أبو داود

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ﴿**إن الله ليرضى عن عبد أن يأكل الأكلة فيحمده عليها ويشرب الشَّربة فيحمده عليها**﴾. رواه مسلم في صحيحه من حديث أنس رضي الله عنه .

الفصل التاسع والثلاثون

في السّلام

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه : أن رجلاً سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم : أي الإسلام خير؟ قال ﴿تطعم الطعام، وتقرأ

السلام على من عرفت ومن لم تعرف﴾ متفق عليه. وقال أبو هريرة: قال رسول الله ﷺ: ﴿لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابُّوا، أفلا أدُلُكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم﴾. رواه أبو داود.

الفصل الأربعون

في الذكر عند العطاس

قال أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ: ﴿إن الله يحب العُطاس، ويكره التثاؤب، فإذا عطسَ أحدكم وحمد الله كان على كل من سمعه أن يقول: يرحمك الله، وأما التثاؤب فإنما هو من الشيطان، فإذا تثاءب أحدكم فليرده ما استطاع، فإن أحدكم إذا تثاءب ضحك الشيطان منه﴾ رواه البخاري. وعنه أيضًا عن النبي ﷺ قال: ﴿إذا عطسَ أحدكم فليقل: الحمد لله، وليقل له أخوه أو صاحبه: يرحمك الله، فإذا قال له: يرحمك الله، فليقل: يهديكم الله ويصلح بالكم﴾. رواه البخاري. وفي لفظ أبي داود: ﴿الحمد لله على كل حال﴾

وقال أبو موسى الأشعري ﷺ : سمعت رسول الله ﷺ يقول: ﴿إذا عطس أحدكم فحمد الله فشمّتوه، فإن لم يحمد الله فلا تشمّتوه﴾. رواه مسلم.

الفصل الحادي والأربعون

في ذكر النكاح والتهنئة به وذكر الدخول بالزّوجة

قال ابن مسعود ﷺ : علّمنا رسول الله ﷺ خطبة الحاجة: ﴿الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهد الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله﴾. وفي رواية زيادة: ﴿أرسله بالحق بشيرًا ونذيرًا بين يدي الساعة: من يطع الله ورسوله فقد رشد، ومن يعصيهما فلا يضر إلاّ نفسه، ولا يضر الله شيئًا﴾: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ {آل عمران/102}﴾ ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ

رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا {النساء/1}﴾ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا {الأحزاب/70} يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا {الأحزاب/71}﴾

رواه أهل السنن الأربعة، وقال الترمذي: حديث حسن. وعن أبي هريرة: أن النبيﷺ كان إذا رفَّأَ الإنسان إذا تزوج قال: ﴿بارك الله لك، وبارك عليك، وجمع بينكما في خير﴾ قال الترمذي حديث حسن صحيح. وعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عن النبيﷺ قال: ﴿إذا تزوج أحدكم امرأة أو اشترى خادمًا فليقل: اللّهمّ إني أسألك خيرها وخير ما جبلتها عليه، وأعوذ بك من شرها وشر ما جبلتها عليه. وإذا اشترى بعيرًا فليأخذ بذروة سنامه وليقل مثل ذلك﴾ رواه أبو داود. وفي الصحيحين: عن ابن عباس عن النبيﷺ قال:

﴿لو أنَّ أحدكم إذا أتى أهله قال: باسم الله، اللّهمّ جنّبنا الشيطان وجنّب الشيطان ما رزقنا، فقُضيَ بينهما ولدٌ لم يضّره الشيطان أبدًا﴾.

الفصل الثاني والأربعون

﴿ في الذكر عند الولادة والذكر المتعلق بالولد ﴾

يُذكر: أن فاطمة رضي الله تعالى عنها لـمّا دنَا وِلاَدُهَا أمر النبي ﷺ أمَّ سلمة وزينب بنت جحش أن تأتيا فتقرآ عليها آية الكرسي و ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ {الأعراف/54}﴾ إلى آخر الآية، وتعوذانها بالمعوذتين. وقال أبو رافع: رأيت رسول الله ﷺ أذَّن في أذن الحسن بن علي وَلَدَتْهُ فاطمة بالصلاة. قال الترمذي حديث حسن صحيح. ويذكر عن الحسين بن علي قال: قال رسول الله ﷺ: ﴿**من ولد له مولود فأذّن في أذنه اليمنى، وأقام في أذنه اليسرى لم تضره أم الصبيان**﴾ وقالت عائشة: كان

النبيﷺ يؤتَى بالصبيان فيدعو لهم بالبركة ويحنّكهم. رواه أبو داود. وقال عبد الله بن عمروﷺ : أن النبيﷺ أمر بتسمية المولود يوم سابعه، ووضع الأذى عنه والعقّ. قال الترمذي حديث حسن. وقد سمَّى النبيﷺ ابنه إبراهيم، وإبراهيم بن أبي موسى، وعبد الله بن أبي طلحة، والمنذر بن أسيد قريبًا من ولادتهم. وعن أبي الدرداء قال: قال رسول اللهﷺ : ﴿**إنكم تُدعَون يوم القيامة بأسمائكم وأسماء آباءكم، فأحسنوا أسماءكم**﴾ ذكره أبو داود. وذكر مسلم عن عبد الله بن عمرﷺ قال: قال رسول اللهﷺ : ﴿**إن أحب أسمائكم إلى الله عزّ وجلّ عبدُ الله وعبدُ الرحمن**﴾ وعن أبي وهب الجشميﷺ قال: قال رسول اللهﷺ : ﴿**تسمُّوا بأسماء الأنبياء، وإن أحبَّ الأسماء إلى الله عزّ وجلّ عبدُ الله وعبدُ الرحمن، وأصدقَها حارثٌ وهمامٌ، وأقبحَها حربٌ ومرةُ**﴾ رواه أبو داود

والنسائي. وغيّر النبي ﷺ الأسماءَ المكروهة إلى أسماء حسنة، فغير اسمَ برَّة إلى زينب، وغيَّر اسمَ حزَن إلى سهل، وغيّر اسمَ عاصية فسماها جميلة، وغيَّر اسمَ أصرم إلى زُرعة، وسمى حربًا: سلمًا، وسمى المضطجع: المنبعث، وسمى أرضًا يقال لها غفرة: حضرةً، وشِعَبَ الضلالة سماه: شعب الهدى، وبني الزينة سماهم بني الرشدة.

الفصل الثالث والأربعون

في صياح الديكة والنهيق والنباح

في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: ﴿**إن سمعتم نهيق الحمير فتعوّذوا بالله من الشيطان، فإنها رأت شيطانًا، وإذا سمعتم صياح الدّيكة فسلوا الله من فضله فإنها رأت ملكًا**﴾. وفي سنن أبي داود عن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ﴿**إذا سمعتم نُباح الكلاب ونهيق الحمير بالليل فتعوّذوا بالله منهن، فإنهن يَرَين ما لا**

ترون﴾ رواه أبو داود.

الفصل الرابع والأربعون

﴿ في الذكر يُطفأُ به الحريق ﴾

يذكر عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿**إذا رأيتم الحريق فكبروا، فإن التكبير يطفئه**﴾.

الفصل الخامس والأربعون

﴿ في كفَّارة المجلس ﴾

عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿من جلس مجلسًا فكثُر فيه لغَطُه، فقال قبل أن يقوم من مجلسه: سبحانك اللَّهُم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلاّ أنت، أستغفرك وأتوب إليك إلاّ كفَّر الله له ما كان في مجلسه ذلك﴾ قال الترمذي حديث حسن صحيح. وفي حديث آخر أنّه: ﴿إن كان في مجلس خير كان كالطابع له، وإن كان في مجلس

تخليط كان كفارة له﴾. وفي السنن عن أبي هريرة عن النبي ﷺ: ﴿ما من قوم يقومون من مجلس لا يذكرون الله تعالى فيه إلاّ قاموا عن مثل جيفة حمار، وكان عليهم حسرة﴾. وعن ابن عمر قال: قلّما كان رسول الله ﷺ يقوم من مجلس حتى يدعو بهؤلاء الكلمات لأصحابه: ﴿اللّهمّ اقسم لنا من خشيتك ما تحول به بيننا وبين معصيتك، ومن طاعتك ما تبلّغنا به جنتك، ومن اليقين ما تهّون به علينا مصائب الدنيا، اللهم أمتعنا بأسماعنا وأبصارنا وقواتنا ما أحييتنا، واجعله الوارث منا، واجعل ثأرنا على من ظلمنا، وانصرنا على من عادانا، ولا تجعل مصيبتنا في ديننا، ولا تجعل الدنيا أكبر همّنا، ولا مبلغ علمنا، ولا تسلط علينا من لا يرحمنا﴾. قال الترمذي حديث حسن.

الفصل السادس والأربعون

في ما يُقال ويُفعل عند الغضب

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ

فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ {فصلت/36}﴾ وقال سليمان بن صردَ: كنت جالسًا مع النبيﷺ ورجلان يستبَّان أحدهما قد احمرّ وجهه وانتفخت أوداجه، فقال النبيﷺ: ﴿**إنّي لأعلم كلمة لو قالها لذهب عنه ما يجدا لو قال: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ذهب عنه ما يَجدُ**﴾ متفق عليه. وعن عطية بن عروة قال: قال رسول اللهﷺ: ﴿**إن الغضب من الشيطان، وإن الشيطان خلق من النار، وإنما تُطفئ النارَ الماءُ، فإذا غضب أحدكم فليتوضأ**﴾ رواه أبو داود. وفي حديث آخر أنه: ﴿**أمر من غضب إن كان قائمًا أن يجلس، وإن كان جالسًا أن يضطجع**﴾.

الفصل السابع والأربعون

فيما يُقال عند رؤية أهل البلاء

عن أبي هريرةرضي الله عنه عن النبيﷺ قال: ﴿مَنْ رَأَى

مُبْتَلًى، فَقَالَ: الْحَمْدُ لِلّهِ الَّذِي عَافَانِي مِمَّا ابْتَلَاكَ بِهِ، وَفَضَّلَنِي عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقَ تَفْضِيلًا، لم يُصِبْهُ ذلك البلاء﴾. وقال الترمذي: حديث حسن.

الفصل الثامن والأربعون

في الذكر عند دخول السوق

عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿من دخل السوق فقال: لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد، يحيي ويميتُ، وهو حي لا يموت، بيده الخير وهو على كل شيء قدير، كتب الله له ألف ألف حسنة، ومحا عنه ألف ألف سيئة، ورفع له ألف ألف درجة﴾. رواه الترمذي. وعن بريدة رضي الله عنه قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا دخل السوق، قال: ﴿باسم الله، اللّهمّ إني أسألك خير هذه السوق وخير ما فيها، وأعوذ بك من شرها وشر ما فيها، اللّهمّ إني أعوذ بك أن أصيب بها يمينًا فاجرة، أو صفْقَةً خاسرة﴾.

في الرجل إذا خدرت رجله

عن الهيثم بن حنش، قال: كنا عند عبد الله بن عمر رضي الله عنه فخدرت رجله، فقال له رجل: اذكر أحبّ الناس إليك، فذكر محمداً صلى الله عليه وسلم فكأنما نُشط من عقال. وعن مجاهد رضي الله عنه قال: خدرت رِجْلُ رَجلٍ عند ابن عباس رضي الله عنه ، فقال: اذكر أحبّ الناس إليك فقال: محمد صلى الله عليه وسلم ، فذهب خدرُه.

فيمن أميط عنه أذى

عن أبي أيوب رضي الله عنه : أنه تناول من لحية رسول الله صلى الله عليه وسلم أذيً، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ﴿**مسحَ الله عنك يا أبا أيوب ما تكره**﴾. وفي لفظ آخر: ﴿**لا يكن بك السوء يا أبا أيوب**﴾. وعن عمر رضي الله عنه : أنه أخذ عن رجل شيئًا، فقال الرجل: صرف الله عنك السوء، فقال عمر رضي الله عنه : صرف الله

عنا السوء منذ أسلمنا، ولكن إذا أُخذ عنك شيءً فقل: أَخَذتْ يداك خيرًا.

الفصل الحادي والخمسون

في الشيء يراه ويعجبه ويخاف عليه من العين

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ {الكهف/39}﴾.

وقال النبيﷺ: ﴿العين حقٌ، ولو كان شيء سابَقَ القدرَ لسبقته العين﴾. حديث صحيح. ويُذكر عن النبيﷺ أنه قال:

﴿إذا رأى أحدكم ما يعجبه في نفسه أو ماله فليتبرّك عليه، فإنّ العين حق﴾

ويذكر عنهﷺ أنه قال: ﴿من رأى شيئًا فأعجبه

فليقل: ما شاء الله، لا قوة إلاّ بالله﴾.

ويذكر عنه ﷺ فيمن خاف أن يصيب شيئًا بعينه قال:

﴿اللّهمّ

بارك لنا فيه

ولا تضرّه﴾.

وقال أبو سعيد: كان رسول الله ﷺ يتعوذ من الجان، وعين الإنسان، حتى نزلت المعوذتان، فلما نزلتا أخذ بهما وترك ما سواهما. قال الترمذي حديث حسن رواه ابن ماجه في سننه.

﴿ في الذكر عند دخول الخلاء والخروج منه ﴾

في الصحيحين عن أنس رضي الله عنه قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا دخل الخلاء قال: ﴿**اللّهمّ إني أعوذ بك من الخبث والخبائث**﴾، وزاد سعيد بن منصور: ﴿**باسم الله**﴾. وفي مسند الإمام أحمد: عن زيد بن أرقم قال: قال رسولالله صلى الله عليه وسلم: ﴿**إن هذه الحُشوش محتضَرة فإذا أتى أحدكم الخلاء فليقل: أعوذ بالله من الخبث والخبائث**﴾. وفي سنن ابن ماجه عن أبي أمامة: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ﴿**لا يَعجُزُ أحدكم إذا دخل مِرْفَقَه أن يقول: اللّهمّ إني أعوذ بك من الرِّجس النَّجِسِ، الخبيث المُخْبِثِ: الشيطان الرجيم**﴾.

وفي الترمذي عن علي رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿**ستر ما بين الجن وعورات بني آدم إذا دخل الكنيف أن**

يقول: باسم الله﴾ وقالت عائشة رضي الله عنها : كان رسول الله ﷺ إذا خرج من الغائط قال: ﴿**غفرانك**﴾ رواه الإمام أحمد وأهل السنن. وفي سنن ابن ماجه عن أنس رضي الله عنه : كان النبي ﷺ إذا خرج من الخلاء قال: ﴿**الحمد الله الذي أذهب عني الأذى وعافاني**﴾ .

الفصل الثالث والخمسون

في الذكر عند إرادة الوضوء

ثبت في النسائي عنه ﷺ: أنه وضع يده في الجفنة وقال: ﴿**توضَّؤوا باسم الله**﴾. وفي صحيح مسلم عن جابر في حديثه الطويل، وفيه: ﴿**يا جابر نادِ بوضوء**﴾ فقلت: إلاّ وضوء؟ إلاّ وضوء؟ وفيه فقال ﷺ : ﴿**خذ يا جابر فصبَ عليَّ وقل: باسم الله**﴾ فصببت عليه وقلت باسم الله، فرأيت الماء يفور من بين أصابع رسول الله ﷺ. وفي المسند والسنن من حديث سعد بن زيد عن النبي ﷺ: ﴿**لا وضوء لمن لم**

يذكر اسم الله عليه﴾ قال البخاري: هذا أحسن شيء في هذا الباب. وعن أبي هريرة، قال رسول اللهﷺ: ﴿**لا صلاة لمن لا وُضوء له، ولا وضوء لمن لم يذكر اسم الله عليه**﴾ رواه الإمام أحمد وأبو داود. وفي المسند عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبيﷺ: ﴿**لا وضوء لمن لم يذكر اسم الله عليه**﴾.

الفصل الرابع والخمسون

في الذكر بعد الفراغ من الوضوء

روى مسلم في صحيحه: عن عمر بن الخطاب عن النبيﷺ قال: ﴿**ما منكم من أحد يتوضأ فيُبلغُ أو فيُسبغ الوضوءَ، ثم يقول: أشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله: إلاّ فتحت له أبواب الجنة الثمانية يدخل من أيها شاء**﴾ وزاد فيه الترمذي بعد ذكر الشهادتين:

﴿اللّهمّ اجعلني من التَوّابين واجعلني من الـمُتَطَهّرين﴾.

وفي بعض طرقه ذكرها أبو داود والإمـام أحمـد: ﴿**فأحسـن الوضوء ثم رفع نَظَرهُ إلى السماء فقال:...**﴾ وذكـره؟ وفي لفـظ للإمام أحمد: ﴿**من توضّأ ثم قال ثـلاث مـرات: أشـهد أن لا إلــه إلاّ الله وحـده لا شـريك لــه، وأشـهد أن محمـدًا عبـده ورسوله**﴾.

في ذكر صلاة الجنازة

في صحيح مسلم: عن عوف بن مالك قال: صلى رسول الله ﷺ على جنازة، فحفظت من دعائه وهو يقول: ﴿**اللهم اغفر له وارحمه، وعافه واعفُ عنه، وأكرم نزُله، ووسع مدخله، واغسله بالماء والثلج والبرد، ونقّه من الخطايا كما يُنقى الثوب الأبيض من الدنس، وأبدله دارًا خيرًا من داره، وأهلاً خيرًا من أهله، وزوجًا خيرًا من زوجه، وأدخله الجنة، وأعذه من عذاب القبر**﴾. قال: حتى تمنّيت أن أكون أنا ذلك الميت، لدعاء رسول الله ﷺ. وفي لفظ ﴿وقهِ فتنة القبر وعذاب النار﴾. وفي سنن أبي داود عن أبي هريرة قال: صلى رسول الله ﷺ على جنازة فقال: ﴿اللهمَّ اغفر لحينا وميتنا، وشاهدنا وغائبنا، وصغيرنا وكبيرنا، وذكرنا وأنثانا، اللهم من أحييته منا فأحيه على الإسلام، ومن توفيته منا فتوفه على الإيمان،

اللهم لا تحرمنا أجره، ولا تضلنا بعده﴾. وفي سنن أبي داود أيضًا عن واثلة بن الأثقع قال: صلى رسول اللهﷺ على رجل من المسلمين، فأسمعه يقول: ﴿اللهم إن فلان بن فلان في ذمتك وحَبْلِ جوارك، فقه فتنة القبر وعذاب النار، وأنت أهل الوفاء والحمد، اللهم فاغفر له وارحمه، إنك أنت الغفور الرحيم﴾. وسأل مروان أبا هريرة: كيف سمعت رسول اللهﷺ يصلي على الجنازة؟ قال: ﴿اللهم أنت ربها وأنت خلقتها، وأنت هديتها للإسلام، وأنت قبضت روحها، وأنت أعلم بسرها وعلانيتها، جئناك شفعاء فاغفر له﴾ رواه الإمام أحمد وأبو داود.

الفصل السادس والخمسون

﴿ في أحبّ الكلام إلى الله عزّ وجلّ بعد القرآن ﴾

ثبت في صحيح مسلم: عن سمرة بن جندب قال: قال رسول اللهﷺ: ﴿**أحبُّ الكلام إلى الله تعالى أربعٌ، لا يضرك بأيهن بدأت: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلاّ**

الله، والله أكبر﴾. وفي وجه آخر: ﴿أفضل الكلام بعد القرآن أربعٌ وهنّ من القرآن: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلاّ الله، والله أكبر﴾.

وفي أثر آخر: ﴿أفضل الكلام ما اصطفى الله لملائكته: سبحان الله وبحمده﴾ وفي الصحيحين: عن أبي هريرة عن النبي ﷺ: ﴿كلمتان خفيفتان على اللسان، ثقيلتان في الميزان، حبيبتان إلى الرحمن: سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم﴾. وفي صحيح مسلم: عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: ﴿لأن أقول: سبحان الله والحمد الله ولا إله إلاّ الله والله أكبر، أحب إليّ ممّا طلعت عليه الشمس﴾.

الفصل السابع والخمسون

فيما يقال لمن حصل له وحشة

روينا في معجم الطبراني عن البراء بن عازب: أن رجلاً اشتكى إلى رسول الله ﷺ الوحشة، فقال:

﴿قُلْ: سُبْحَانَ اللهِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ، رَبِّ الْمَلَائِكَةِ، وَالرُّوحِ، جَلَّلْتَ السَّمَاوَاتِ، وَالْأَرْضَ بِالْعِزَّةِ، وَالْجَبَرُوتِ﴾.

فقالها الرجل، فأذهب الله عنه الوحشة.

الحمد لله

نهاية لا تزال تبدؤُ،

وبدءٌ لا ينتهي.

جَزَى اللهُ عَنَّا محمد ﷺ بِمَا هُو أَهْلُهُ

إِنَّمَا يتقَبَّلُ اللهُ منَ المُتَّقِينْ

تَمَّ بِعَوْنِ الله كِتَابُ:

الفوائد

ولله الحَمْدُ والشُّكْرُ

ولله الحمد والمنة، نسأله الموت على الكتاب والسنة آمين

هذا الكتابُ عملته تَذْكرةً لنَفْسي وذَخِيرة ليَوْم رَسْمي،

وعملاً صالحاً بعد موتي

والسلام

خادم السنة النبوية الشريفة

أبو أحمد محمد بن على بن محمد بن فرج بن أحمد مغيث

فهرس الكتاب

حرز الشيطان 5
ذكر الله وفوائده 15
فوائد الذكر وفي الذكر أكثر من مائة فائدة 24
الذكر وحقيقة النّور الإلاهي 45
هدي الله نورٌ 70
صلاح الأعمال والأقوال ثمرة لنور الإيمان 80
تكملة فوائد الذكر 81
دعاء عروة بن الزبير 139
أنواع الذكر 140
في ذكر طَرَفي النَّهار 141
في أذكار النوم 147
في أذكار الانتبَاه مِن النّوم 152
في أذكار الفزع في النّوم وَالفكر 154
في أذكار من رأى رؤيا يكرهها أو يحبها 155
في أذكار الخروج من المنزل 156
في أذكار دخول المنزل 157
في أذكار دخول المسجد والخروج منه 158
في أذكار الأذان 159
في أذكار الإستفتاح للصلاة 163
في ذكر الركوع والسجود والفصل بينهما وبين السجدتين 167
في أدعية الصلاة بعد التشهّدِ 170
في الأذكار المشروعة بعد السّلام وهو أدبار السجود 173
في ذكر التشهد 176
في ذكر الصلاة على النبي 177
في الإستخارة 178
في أذكار الكرب والغم والحزن والهم 180

في الأذكار الجالبة للرزق الدافعة للضيق والأذى 183
في الذكر عند لقاء العدوّ ومن يخاف سلطانًا وغيره 183
في الأذكار التي تطرد الشّيطان 185
في الذكر عند المصيبة 186
في الذكر الذي يُدفع به الدّينُ ويُرجى قضاؤه 188
في الذّكر الذي يُرقَى به من اللَّسعة واللَّدغة وغيرهما 188
في ذكر دخول المقابر 191
في ذكر الاستسقاء 191
في أذكار الريح إذا هاجت 193
في الذّكر عند الرعد 194
في الذكر عند نزول الغيث 195
في الدعاء عند زيادة المطر والخوف منها 196
في الذكر عند رؤية الهلال 197
في الذكر للصّائم وعند فطره 198
في أذكار السفر 198
في ركوب الدّابة والذكر عنده 200
في ذكر الرجوع من السفر 201
في الذكر عند القرية أو البلدة إذا أراد دخولها 201
في ذكر المنزل يريد نزوله 202
في ذكر الطَّعام والشراب 203
في السّلام 204
في الذكر عند العطاس 205
في ذكر النّكاح والتهنئة به وذكر الدخول بالزّوجة 206
في الذكر عند الولادة والذكر المتعلق بالولد 208
في صياح الديكة والنَّهيق والنُّبَاح 210
في الذكر يُطفَأُ به الحريق 211
في كفّارة المجلس 211
في ما يُقال ويُفعل عند الغضب 212

فيما يُقال عند رؤية أهل البلاء 213
في الذكر عند دخول السوق 214
في الرجل إذا خدرت رجله 215
فيمن أميط عنه أذى 215
في الشيء يراه ويعجبه ويخاف عليه من العين 216
في الذّكر عند دخول الخلاء والخروج منه 218
في الذكر عند إرادة الوضوء 219
في الذكر بعدالفراغ من الوضوء 220
في ذكر صلاة الجنازة 222
في أحبّ الكلام إلى الله عزّ وجلّ بعد القرآن 223
فيما يُقال لمن حصلَ له وحشة 224

أبواب التوبة

1) محمد ﷺ
2) الصحابة
3) ختم القرآن يا أولياء الرحمن
4) الذكرى
5) المصباح
6) المصير
7) الزّاد
8) المفتاح
9) المقنع
10) الفوائد
11) مناسك الحج والعمرة
12) الأعلام
13) الرّحيل
14) جهينة
15) المناقب
16) كنوز يوم الجمعة
17) العظيمتان

تمّ بعون الله تعالى، تأليف كُتب «أبواب التوبة» في شهر رمضان من سنة 1437هـ